بسم الله الرحمن الرحيم

لسانيـــات النـص

تمهـــيد:

اللغة خاصية إنسانية، ربطت الإنسان – منذ أن وُجد– بالبيئة التي يعيش فيها. فهي إحدى الوسائل التي يلجأ إليها لإتمام عملية التواصل، بل تُعد من أهم وأبرز تلك الوسائل، فهي تتيح لمتكلّميها التعبير عن آرائهم وأحاسيسهم وأفكارهم بصورة طبيعية، محققين بذلك ذواتهم ووجودهم في المجتمع الذي يعيشون فيه. ويرى تشومسكيNoam.Chomsky أن هذه اللغة تتجلى في مظهر استعمالها الإبداعي، في قدرة الإنسان الخاصة على التعبير عن أفكار متجددة، وعن فهم تعابير فكرية متجددة أيضاً.

في ظل هذا التصوُّر يمكن النظر إلى اللغة على أنها عمل عقلي يتجدد باستمرار عن طريق الكفاية اللغوية، التي تقود عملية الأداء الكلامي؛ إذْ تعتبر مظهرا من مظاهر تجلّي اللساني، مما يعني أن هذه الملكة الفطرية تخرج إلى الوجود الفعلي عن طريق الكلام الذي تحكمه عناصر خارجية متغيرة باستمرار؛فكان لكلِّ "مقام مقال"؛ أيْ إن المقام هو الذي يحدد دلالة المقال. وهكذا تكون اللغة ذلك النهر المتدفق الذي تتجدد مياهه باستمرار عن طريق الكلام.

ونظراً لهذه المكانة التي حظيت بها اللغة، واهتمام الإنسان بها، انكبَّ منذ القديم على دراستها في مختلف مظاهرها وتجلّياتها، مشافهة أو كتابة عبر مستوياتها المتعددة (تركيبية وصوتية ومعجمية ودلالية). ولأن الإنسان لا يتواصلون بوساطة جمل معزولة، ولكن بنصوص أو خطابات؛ عُدَّ النص/ الخطاب وحدة لغوية من جهة، وحدثاً تواصلياً من جهة ثانية، وعُدَّتْ دراسته اتجاهاً جديداً وحقلاً من حقول اللسانيات،وزاد الاهتمام به في النصف الثاني من القرن العشرين.

وبهذا أصبحت الحاجة ملحة لوضع منهج يمكن من خلاله ولوج عالم النص لاكتشاف أغوار دلالاته ومعانيه، والوصول إلى المعايير التي تحكمه والوسائل والآليات التي تبرز تماسكه؛ وقد سمي هذا المنهج بلسانيات النص أو علم النص.

الإرهاصات التي سبقت ظهور لسانيات النص:

اللسانيات هي الدراسة العلمية والموضوعية للغة المنطوقة والمكتوبة، من أجل الوصول إلى المميزات العامة لهذه اللغة، وقد ارتبطت اللسانيات بدراسة الجملة التي ظلت فترة زمنية طويلة تمثل أكبر وحدة لسانية قابلة للتحليل إلى أن جاء زليج هاريس Zellig.Harris الذي أكد أن" الفونيم يأتلف مع فونيم آخر لتكوين مبنى صرفي، ثم يتألف هذا مع غيره من فئته لتكوين المرتبة العليا من التأليف اللغوي وهو التركيب الجملي، الذي هو مصب أخير للمستويات الفونولوجية والمورفولوجية وهو غايتها. ومنثم يتم ارتباط التراكيب الجملية بعضها ببعض في نص أدبي فيكوّن سلسلة لغوية ليس من اليسير فهم حلقة فيها(الجملة) إلا بربطها بغيرها من جمل النص."(خليل أحمد عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها،1984، ص50).

وبهذا يكون هاريس قد أعطى مفهوماً آخر للتحليل غير الذي كان سائدا، بحيث تتشكل الجملة النواة من علاقة بين جملتين أو أكثر، وبالتالي يكون النص عند هذا الباحث عبارة عن بنية متحولة. وقد استعمل مصطلح الخطاب بدل مصطلح النص. وكان هاريس قد أقَرَّ في البداية ما ذهب إليه أستاذه بلومفيلد Bloomfield من أن المعنى لا يعد مطلبا أساسيا في تقسيم الجمل وتوزيعها.

هذا قصور اعترى النظرية التوزيعية الهاريسية،وقد كان من أهم الأسباب التي أدت بنعومتشومسكيNoam.Chomsky إلى انتقاد المذهب السلوكي، الذي ربط اللغة بالمثير الخارجي والاعتماد على سلوك السامع، وإهمال دور المتكلم في إنتاج الكلام، كما انتقد المنهج البنيوي، الذي اعتمد في تحليل النصوص على موقع الكلمة في الجملة، ورأى أن النظرية اللغوية يجب أن يوجه مسارها نحو تحليل قدرة المتكلم على إنتاج الجمل(ينظر خليل أحمد عمايرة: في نحو اللغة، ص51).

غير أن هذه الدراسات ظلت مرتبطة بدراسة الجملة، وظل شغلها البحث عن أكبر وحدة لسانية قابلة للتحليل بكل مستوياتها بما في ذلك المستوى النحوي، وبهذا كان العلم الذي يُعَوَّلُ عليه في ذلك على الأقل في الوقت الحاضر وهو لسانيات النص أو علم لغة النص أو علم اللغة النصي أو نحو النص وهو" علم يشكل نظرية ومنهجاً في الوقت نفسه، يعني أنه براجماتي، كما أنه مصب تدفقت فيه كل العلوم."(عادل مناع: نحو النص اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية، ص9) فما هو علم اللغة النصي أو لسانيات النص؟

ماهية لسانيات النص:

تُعَدُّ لسانيات النص أو علم النص"فرعاً من فروع علم اللغة، يدرس النصوص المنطوقة والمكتوبة... وهذه الدراسة تؤكد الطريقة التي تنتظم بها أجزاء النص، وترتبط فيما بينها لتخبر عن الكل المفيد. ويذكر نايل Nil أن علم لغة النص يعني- في العادة- الدراسة للأدوات اللغوية للتماسك النصي، الشكلي والدلالي، مع تأكيد أهمية السياق وضرورة وجود خلفية لدى المتلقي حين تحليل النص... وقد عرفه Schiffrin. Deborah بأنه تحليل اللغة في الاستعمال، وربط بين اللغة أو النص والمتلقي والسياق المحيط."(نقلا عن صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي،ج1،ص35). فلسانيات النص رافد من روافد علم اللغة، ميدانه النص/الخطاب، هدفه دراسة أدوات اتساق هذا النص/ الخطاب وآليات انسجامه أيْ البحث في نصيته مع ربطه بالسياق و بالتواصل.

ويربج.براونوج.يول.G.Brown-G.Yule أن لسانيات النص فرع من فروع اللسانيات العامة، يعنى بدراسة مميزات النص من حيث حده، وتماسكه، ومحتواه الإبلاغي(براون ويول: تحليل الخطاب،ص30) أي دراسة النص على أساس أنه أكبر وحدة دلالية متماسكة الأجزاء تؤدي وظيفة تواصلية في سياق معين.

ويرى صبحي إبراهيم الفقي أن لسانيات النص أو علم النص" هو فرع من فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة النص باعتباره وحدة لغوية كبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله وأنواعه والإحالة أو المرجعية وأنواعها والسياق النصي ودور المشاركين في النص(المرسل والمستقبل)، وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حدٍّ سواء"(صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي،ج1،ص36).

وهكذا تكون لسانيات النص رافداً من روافد علم اللغة العام (كما ذكرت)، مهمته دراسة النصوص، والنظر إليها على أنها أكبر وحدة لسانية قابلة للتحليل، ويتم ذلك بالبحث في جوانب عدة منها أدوات الاتساق وآليات الانسجام، بالإضافة إلى السياق الذي يرد فيه النص/ الخطاب، دون إهمال دور المشاركين وتفاعلهم ،وسواء أكان النص منطوقاً أم مكتوباً.

وما دامت لسانيات النص تمثل إحدى فروع اللغة الكثيرة، فمن غير المنصف أن تُنسب إلى عالم أو باحث بعينه، ولو أن بعض الباحثين يرجعون ميلاد هذا العلم إلى زيلج هاريس-HarrisZellig تلميذ بلومفيلد Bloomfied وإلى نعوم تشومسكيNoam-Chomsky على أساس أنه أول من تحدث عن تحليل الخطاب، لكن يمكن القول بأن مناهج شتىَّ قد تضافرت فأدت إلى ظهور هذا العلم. إذْ من رحم التوليدية والتحويلية والتوزيعية والتداولية والوظيفية وغيرها ولدت لسانيات النص وكان ذلك في

النصف الأخير من القرن العشرين، حيث حاولت الارتقاء بلسانيات الجملة إلى مستوى أعلى هو النص، ولم تكن في الحقيقة قد بنيت على أنقاض لسانيات الجملة كما يزعم البعض.

وتشير بعض المراجع إلى أن ظهور لسانيات النص يعود إلى عمل قام بهPhil سنة 1887حيث جعل تتابع اللفظ متعلق بتتابع الأفكار، ثم إلى الباحثة الأمريكية I.Nye في أطروحتها المقدمة لنيل درجة الدكتوراهعام1912حيث بحثت في علامات عدم الاكتمال والتكرار انطلاقا من أسس نصية (ينظر سعيد حسن بحيري: علم لغة النص- المفاهيم والاتجاهات،1997،ص18) فإن صدق القول يكون الباحثان Philو Nye قد سبقا هاريس إلى ذلك، لكن العبرة ليس بمن الأسبق، ومن كان تَبَعاً، وإنما العبرة بما قدَّم من عمل.

لقد حاول هاريسHarris تجاوز عثرات الدراسات اللغوية التي سبقته عندما نشر دراسته تحليل الخطاب Analyse du discours عام 1952 محاولا بذلك الوقوف عند بنية النص وربط اللغة بالسياق الاجتماعي؛ وكان التحليل الإجرائي عنده يكمن في العثور على أوجه التكافؤ بتقطيع النص إلى عناصر تركيبية مجتمعة في طبقات متعادلة، تتكون كل طبقة من مجموع العناصر التي يمكن أن تظهر في سياق متشابه أو متطابق.ومن هنا تفطن الباحثون إلى ضرورة البحث عن مستوى أكبر من مستوى الجملة هو النص/الخطاب.

في عام 1968حاول هارفج Harweg وصف التنظيم الداخلي للنص، وإبراز العلاقات التي تربط بين أجزائه، فأصبح النظر إلى المتتاليات المترابطة على أنها نسيج متشابك لا يمكن الفصل بين أجزائه، وهذا النسيج هو النص (ينظر حسن بحيري: علم لغة النص، 1997، ص29 وما بعدها).

هذه النظرة لقيت صداها عند العالم الهولندي فان دايك T.Van.Dijk فأظهر اعتراضه على النحو التقليدي في كتابه مظاهر نحو النص(Aspects of textgrammar) الذي نشره عام 1972دعا فيه إلى أن يسلك المحلل طرقا جديدة في تحليل المستويات الصوتية والتركيبية والدلالية للنص، والوقوف على ما يطرأ عليه من إضافات أو حذف أو استبدال؛ وبهذا يمكن الخروج بالتحليل من الاهتمام بالجملة إلى الاهتمام ببنية أكبر ومستويات أعمق لا تكون إلا فيما هو أكبر من الجملة وهو النص أو الخطاب.

وفي كتابه الثاني **النص والسياق** le texte et le contexte بدأت ملامح هذا العلم تتشكل؛ يقول:" في كل الأنحاء السابقة على نحو النص وصف للأبنية اللغوية، ولكنه لم يُعْنَ بالجوانب الدلالية عناية كافية، مما جعل علماء النص يرون أن البحث الشكلي للأبنية اللغوية ما يزال مقتصراً على وصف الجملة، في حين يتضح من يوم إلى آخر

جوانب كثيرة لهذه الأبنية، وبخاصة الجوانب الدلالية، لا يمكن أن توصف إلا في إطار أوسع لنحو الخطاب أو نحو النص"(نقلا عن سعيد حسن بحيري: علم لغة النص،1997، ص136). ولم ينكر فان دايك T.Van.Dijk فضل لسانيات الجملة، إلا أن الاهتمام بجوانب كثيرة ظلت خفية كالجوانب الدلالية والسياقية ودور المشاركين وغيرها، وهذه القضايا لا يمكن الإلمام بها إلا إذا كانت وحدة التحليل نصًّا أو خطاباً.

في سنة 1976ظهر كتاب هاليداي ورقية حسن M.A.K.Halliday-&-R.Hasan **الاتساق في الانجليزية** Cohesion-in-English فوجَّه الأنظار نحو تحليل يتجاوز إطار الجملة إلى النص.وأبرز الدور الذي تلعبه أدوات الاتساق في تماسك النصوص وترابطها. يضاف إلى ذلك المجهودات التي قام بها الوظيفيون، وكذلك مدرسة لندن، التي جعلت السياق من أولويات الدراسات اللغوية، وعلى رأس هذه المدرسة فيرث Firth. وفي هذه الفترة بدا الاهتمام واضحا بمُنْتِج النص ومستقبليه والمحيط الثقافي، بالإضافة إلى المقاصد والغايات التي يرمي إلها، وكلها مصطلحات حظيت باهتمام كبير من أصحاب منهج آخر هو المنهج التداولي. وهكذا بدأ التعامل مع النص على أساس أنه حدث تواصلي في سياق.

ويقول سعد مصلوح:" إن الفهم الحق للظاهرة اللسانية يوجب دراسة اللغة دراسة نصية وليس اجتراء البحث عن نماذجها، وتهميش دراسة المعنى كما ظهرت في اللسانيات البلومفيلدية أول أمرها، ومن ثم كان التمرد على نحو الجملة والاتجاه إلى نحو النص أمراً متوقعاً، واتجاهاً أكثر اتساقا مع الطبيعة العلمية للدرس اللساني الحديث.

إن دراسة النصوص هي دراسة للمادة الطبيعية التي تُوصِلنا إلى فهم أمثل لظاهرة اللغة، لأن الناس لا تنطق حين تنطق، ولا تكتب حين تكتب جملا أو تتابعا من الجمل، ولكنها تعبر في الموقف اللغوي الحي من خلال حوار معقد متعدد الأطراف مع الآخرين"(نقلا عن جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، 2006 ،ص66). لكن هذا التمرد على نحو الجملة الذي تكلم عنه سعد مصلوح ليس معناه الانسلاخ، ونبذ الجملة نهائياً، لأن الجملة مهما تطوَّرت الدراسات اللغوية لا يمكنها الاستغناء عنها، وستظل اللبنة الأولى، ودراستها بشكلٍ أوْ بآخر فرْضُ عَيْنٍ شئنا أمْ أبَيْنَا. وفي كتابه (نحو أجرومية للنص الشعري) تحدث عن السبك ومستويات التحليل،ولم يُهمل الحديث عن الجملة التي تتكون من كلمات ثم يكون هذا التتابع الجملي لتكوين فقرات وتكوِّن هذه المقطوعات أو الفقرات نصوصاً وخطابات.

ويرى روبرت دي بوجراند R.de.Beaugrande أن اللسانيات مطالبة بضرورة متابعة الأنشطة الإنسانية في التخاطب، ذلك أن جوهر اللغة الطبيعية هو النشاط الإنساني ليكون مفهوما ومقبولا من قبل الآخر في اتصال مزدوج (ينظر دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء،ص 126)، وهكذا أصبحت لسانيات النص لبنة في صرح التطور العلمي المنهجي، وصيغة من صيغ التعامل الفعال مع الظاهرة اللسانية في إطار التفاعل بين المتخاطبين، وشُدَّت الرِّحال بغية ولوج عالم النص انطلاقاً من تعريفه؛ فما النص؟

ماهية النص:

من المعروف أن العلم لا يمكن إيعازه إلى باحث بعينه، لأن ذلك يُعدُّ إجحافاً في حق الآخرين، بل هو تضافر جهود وبحوث مستمرة.وعلم النص كغيره من العلوم حاول الباحثون فيه تجاوز فكرة أن الجملة هي أكبر وحدة قابلة للتحليل اللساني، بل تُعدُّ جزءاً من كلٍّ مترابط متماسك هو النص. غير أن الاختلاف بين اللغويين ظلَّ قائماً حول ماهية هذا النص وهو الأمر الذي حدث مع الجملة من قبل. وعلى الرغم من الاختلافات الكثيرة، فإن التعريف المعجمي للمصطلح قد يكون السبيل الذي يسمح منه ولوج عالم النص.

فمحمد الأخضر الصبيحي يرى أن النص" يُعَدُّ أحد المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها الحياة الاجتماعية، إذْ لا يمكن تصور مجتمع منسجم ومتماسك دون نصوص تنظم مختلف مؤسساته، وتضبط قوانين اشتغالها، وتقنن التعامل مع أفرادها بما يضمن لها الثبات والاستقرار"(مُحَمَّد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص13).

ولكي تنظم هذه النصوص حياة الأفراد والجماعات داخل مجتمع لغوي متجانس، لابد أن تكون متماسكة حتى تؤدي الوظيفة الخاصة بها. وكي يتم ذلك "لا بد من ظواهر ووسائل لغوية تكفل لهذا النص ترابطه وانسجامه (أدوات، الربط، الإحالة...) أو بعبارة أخرى دراسة مختلف العلاقات بين الجمل، والنظر في مدى انتظام هذه العلاقات في نصوص متشابهة، هذا بالإضافة إلى بعض الظواهر اللغوية الأخرى التي لا يمكن أن ندرسها ونجد لها تفسيرا إلا على مستوى النص"(مُحَمَّد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص6).وما دام النص بهذه الأهمية، فبِمَ عرفه العلماء والباحثون؟

التعريف المعجمي:

لا شك أن التعريف اللغوي هو المفتاح الذي يسمح لأيّ دارس ولوج عالم النص، فقد جاء في لسان العرب لابن منظور(ت711هـ) في مادة (نصص) ما يلي:

" النص: رفْعُكَ الشيءَ. نَصَّ الحديثَ يَنُصُّهُ نَصّاً: رَفَعَهُ، وكلُّ ما أُظْهِرَ فقد نُصَّ... ونَصَّتْ الظَّبْيَةُ جِيدَهَا: رَفَعَتْهُ. ووُضِع على المِنَصَّةِ أيْ على غاية الفضيحة والشهرة والوضوح. والمِنَصَّةُ ما تُظْهَرُ عليه العروس لتُرى.. ومن قولهم: نَصَصْتُ المتاعَ إذا جعلتُ بعضَه على بعضٍ. ونَصَّ الدَّابةَ يَنُصُّها نَصًّا:رفعَها في السَّيْرِ، وكذلك الناقة... والنصُّ والنَّصِيصُ: السَّيرُ الشديدُ والحثُّ. قال الأزهري(ت370هـ) : النصُّ أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها. ويُقال: نَصَصْتُ الشيءَ حركتُه... وقول الفقهاء: نَصُّ القرآن ونَصُّ السُّنَّة أيْ ما دلَّ ظاهر لفظهما عليه من الأحكام..." (لسان العرب: ج13، ص271.)

وجاء في منجد اللغة العربية المعاصرة:" النَصُّ جمع نُصُوصٍ: صيغة الكلام التي وضعها المؤلف."(دار المشرق، بيروت، ط2، 2001، ص1425). وقيل: النصُّ هو مجموع الكلمات أو الجمل التي تُكوّن مكتوباً أو منطوقاً (voir : Dictionnaire Hachette encyclopédique,p1598.) وهذا التعريف أقرب إلى التعريف الاصطلاحي منه إلى التعريف اللغوي. وأما التعريفات التي جاءت في لسان العرب للنص فهي تدلُّ على:

* الرفع والإظهار.
* ضم الشيء إلى الشيء.
* منتهى الشيء وأقصاه.
* الحركة.

وهي تعريفات لا تخرج بصورة أو بأخرى عن مفهوم النص أيضاً. إذْ يرى خليل موسى في مقال له أن" بعض المعاني وبخاصة الثوابت منها تتقاطع وتتلاقى، **فالرفع** مثلا يعيد النص إلى صاحبه، و**التحريك** صفة من أهم صفات النص الأدبي فهو حوار بالدلالة، وأما **الإظهار** ففيه معنى الإنجاز والتمام، فإذا كانت العروس تُنصُّ على المنصة لتُرى على أجمل حُلَّة فكذلك شأن النص الذي لا يُخرجه صاحبه إلى الناس إلا في حالته التي يراها جميلة... ثم إن من معاني النص **الافتضاح والإشهار**(خليل موسى: النص لغة واصطلاحا، ع823، 2000).

وبما أن من معاني النص المعجمية(**ضم الشيء إلى الشيء**) فهذا يعني ضم الكلمة إلى الكلمة والجملة إلى الجملة والعبارة إلى العبارة والفقرة إلى الفقرة بوساطة مجموعة من الروابط والأدوات. و" كون النص **أقصى الشيء ومنتهاه** وهو تمثيل لكونه أكبر وحدة لغوية يمكن الوصول إليها، إذْ نعد النص ممثلا للمستوى السادس من مستويات علم اللغة المتعارف عليها."(صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي،ج1، ص28) وبهذا يكون التعريف اللغوي قد سمح بالوصول إلى التعريف الاصطلاحي لمصطلح النص.

التعريف الاصطلاحي:

لم يكن حظ مصطلح النص بأفضل ولا أوفر من مصطلح الجملة، ولعل الاختلاف والتباين أحيانا يرجع إلى ثقافة الباحثين ومناهلهم المعرفية، وعلى الرغم من الاختلافات التي تصل كما قلت إلى حدِّ التباين أحياناً، فإن الجهود تسعى حثيثاً نحو هدف واحد هو محاولة إيجاد مفهوم جامع للنص، وإن كان هذا يُعدُّ شبه مستحيل. فسعيد حسن بحيري يرى أن مصطلح النص كمصطلح الجملة إذْ " ثمة اختلاف شديد بين الاتجاهات في تعريف النص إلى حدِّ التناقض أحيانا والإبهام أحيانا أخرى، فلا يوجد تعريف معترف به من قِبَل عدد مقبول من الباحثين(سعيد حسن بحيري:علم لغة النص،1997، ص101) فإذا جمعنا ما يضيفه كل باحث قد نحصل على تعريف يسهم فيه معظم الباحثين، ويكون محط إجماع إلى حدٍّ ما.

فرولان بارث Roland.Barth يرى أن كلمة نص تعني النسيج وعلينا أن" نركز داخل هذا النسيج على الفكرة التوليدية التي يتخذها النص لنفسه وينشغل بها من خلال تشبيك دائم، وإن الذات إذْ تكون ضائعة في هذا النسيج تنحل فيه كما لو أنها عنكبوت تذوب في نفسها في الإفرازات البانية لنسيجها."(رولان بارت: لذة النص، ص104).

فالنص عنده نتيجة حتمية لذلك التفاعل الحاصل بين النص والقارئ، وإذْ يشبهه بنسيج العنكبوت فهذا يعني أن النص عبارة عن مستويات متشابكة أو هو عبارة عن ممارسة دلالية التفاعل فيها يكون بين القارئ والنص المنتَج.كما فرَّق هذا الباحث بين النص مطلقاً والعمل أو الأثر الأدبي، فهو "يرى أنّ العمل الأدبي يختلف عن النص بكونه نتاجاً كاملا متكاملا؛ فهو يستطيع شغل حيّز محسوس باتخاذه مكاناً له فوق رفوف المكتبة مثلاً. في حين أن النص هو حقل منهجي... فالعمل الأدبي يُمسَك باليد، في حين أنَّ النص لا يوجد إلاَّ في اللغة"(رولان بارت: نظرية النص نقلا عن عبد الملك مرتاض:

نظرية النص الأدبي،2010،ص140). وانطلاقا من ذلك فالنص قد يكون جملة، كما قد يكون كلمة واحدة، كما قد يكون رواية تتكوّن من عدة أجزاء كما بين ديكرو و تودوروف.

وأما هيلمسليفL.Hjlmslev فيستعمل كلمة نص بمفهوم أوسع، فهو كل ملفوظ منطوق أو مكتوب، طويل أو قصير، قديم أو جديد. فكلمة (قِفْ) هي نص مثلها مثل رواية الوردة. وكل المواد اللسانية المدروسة تشكل نصا أيضا سواء تعلق الأمر بلغة أو بلغات، ويكون من صنف قابل للتحليل إلى أجناس منقسمة هي نفسها إلى أصناف (فئات) وهكذا حتى تستنفذ إمكانية الانقسام Voir: J.Dubois etautres : Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage,p482

فالباحث يضع النص والخطاب في كفة واحدة، وهو عنده لا يتقيد بطول ولا قصر، وبالتالي تتساوى الكلمة الواحدة بالرواية.ويذهب برينكر Brinker إلى القول: بأن النص هو عبارة عن متتاليات أو تتابع مترابط من الجمل.وهذا يعني أن الجملة تشكل جزءاً من النص، وبالتالي فهي وحدة مستقلة نسبيا.(ينظر: سعيد حسن بحيري: علم لغةالنص،1997،ص103).كما يعني أن النص يشكل بنية كبرى شاملة تتكون من جمل مترابطة هي بمثابة أبنية أو بنيات صغرى ويمكن أن تكون بدورها بنية كبرى.

وفي كتابه (التحليل اللغوي للنص) يشير برينكر Brinker إلى مفهومين للنص أحدهما يقوم على النظام اللغوي الذي يتكئ على علم اللغة البنيوي، والنحو التوليدي التحويلي. والثاني يقوم على أساس نظرية التواصل. ثم يُدمج بين المفهومين ليصل إلى أن النص عبارة عن وحدة لغوية تواصلية، وتكون بنية النص على أساس مستوى الوصف النحوي من جهة، حيث يدرس التماسك النحوي(العلاقات النحوية الدلالية) بين الجمل المتتالية في النص. ومن جهة أخرى على مستوى الربط الإدراكي الذي ينشئه النص بين مضامين جملية.(ينظر كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص- مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، 2005، ص11...31).

وأما هارتمان P.Hartman فيرى أن النص عبارة عن" علامة لغوية أصلية، تبرز الجانب الاتصالي والسيميائي."(نقلا عن سعيد حسن بحيري: علم لغة النص،1997، ص107). وهنا تبرز الخاصية السيميائية للنص؛ فالنص عند هذا الباحث عبارة عن علامة لغوية ذات بعدين أحدهما اتصالي والآخر سيميائي.

ويضيف شميت S.J.Schmidt إلى الوظيفة الاتصالية وحدة الموضوع، فالنص عنده موضوعه محدد من خلال الحدث الاتصالي. وأما فاينريش H.Weinrich فيرى بأنه لكي يفهم الكل لا بد أن تُفْضِي عناصرُه إلى بعضها بعضاً، بحيث يكون النص كلا مترابطا، وأن فهمه يتوقف على هذا الترابط، فإذا فصلت أجزاء النص أدى ذلك

إلى عدم الوضوح لأن كل عناصره تكمل بعضها؛ ويركز فاينريش على ما يسميه الوحدة الكلية والتماسك الدلالي للنص. ثم يضيف دريسلر Dressler خاصية التناص ويبين أن النص مركب من عدة نصوص، ويخلص إلى المعادلة التالية: T= S(+K+T)، [T = نص، S= جملة، K= رابط]. حيث تتقاطع أقوال عديدة في فضاء النص وتتم عملية الاستبدال من نصوص مختلفة(ينظر سعيد حسن بحيري:علم لغة النص،1997، ص108...111).

وقد نظر لوتمان L.Lotman إلى هذه الإسهامات على أنها تفتقر إلى التحديد والدقة، فالنص عنده يتكئ على عدة مكونات هي:"

1. ***التعبير***: النص يتمثل في علاقات محددة... والتعبير في مقابل اللاتعبير يجبرنا على أن نعتبر النص تحقيقا لنظام وتجسيدا ماديا له، وطبقا لثنائية دي سوسير de.Saussure الشهيرة التي تضع الكلام في مقابل اللغة، فإن النص ينتمي دائما إلى مجال الكلام التنفيذي.
2. ***التحديد***: إن النص يحمل دلالة غير قابلة للتجزئة، كأن يكون قصة أو وثيقة أو أن يكون قصيدة... والقارئ يعرف كل نص من هذه النصوص بمجموعة من السِّمات، ولهذا فإن نقل سمة من نص إلى آخر فإنما هو وسيلة جوهرية لتكوين دلالات جديدة.
3. ***الخاصية البنيوية***: النص لا يمثل مجرد متوالية séquence من مجموعة علامات تقع بين حدين فاصلين، فالتنظيم الداخلي الذي يحيله إلى مستوى متراكب أفقيا في كل بنيوي موحد لازم للنص، فبروز البنية شرط أساسي لتكوين النص... ومن الواضح أن هذه الخاصية ترتبط بقوة بخاصية التحديد."(صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص ص274- 275). والواضح أن الخاصية البنيوية عند لوتمان تتعارض مع رأي هلمسليف الرافض للتحديد من جهة وللتركيب الأفقي من جهة ثانية، فالنص عنده لا تحكمه بداية ولا نهاية.

وترى جوليا كريستيفا Julia.Kristiva أن النص عبارة عن مسرح لكثير من الممارسات الإيديولوجية والسياسية والاجتماعية والسيميولوجية، وبهذا فهو جهاز عبر لغوي... وهو عملية إنتاجية لكل الممارسات. وبهذا فالنص ليس نظاماً مغلقاً، ولكنه يضم بين طياته دلالات متغيرة ومتباينة ضمن أُطُر سياسية وإيديولوجية واجتماعية.(ينظر أمينة بلعلى: نظرية النص عند جوليا كريستيفا، ملتقى علم النص، الجزائر، نوفمبر1994). فالباحثة تنفي فكرة البداية والنهاية للنص على غرار رأي هلمسليف؛ فهو مفتوح على قراءات كثيرة انطلاقاً من الممارسات التي يضمها بين طياته كونه جهاز عبر لغوي.

وأبسط تعريف نجده عند الباحثين فولفجانج وفيهفيجر. Wolfgang-&-Vichwerger وهو أقرب إلى تعريف برينكر Brinker، يقول الباحثان:"النص في الأساس يمكن تحديده بأنه مركب بسيط من جمل تقوم بينها علاقات تناسق. وإزاء هذه الخلفية النظرية فإن النصوص عادة تتمثل فيها الخصائص التالية:

- ✓ تعاقب أفقي للجمل.
- ✓ تحديد الجهة اليمنى و اليسرى.
- ✓ الاستقلال النسبي.
- ✓ التناسق داخل تتابع الجمل.
- ✓ العلاقات الدلالية بين المكونات السطحية."(فولفجانج وفيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ص25).وبهذا يكون النص عبارة عن متتاليات أفقية من الجمل المتماسكة، تربط بينها علاقات شكلية- دلالية.

ويفرق هاليداي ورقية حسن Halliday-&-R.Hasan بين النص واللانص عن طريق متكلم اللغة، فهو الذي يمكنه الحكم على المقطع اللغوي، إن كان موحَّداً أوْ لا وذلك بغية الوصول إلى أن الاتساق شرط ضروري لهذا التمييز.

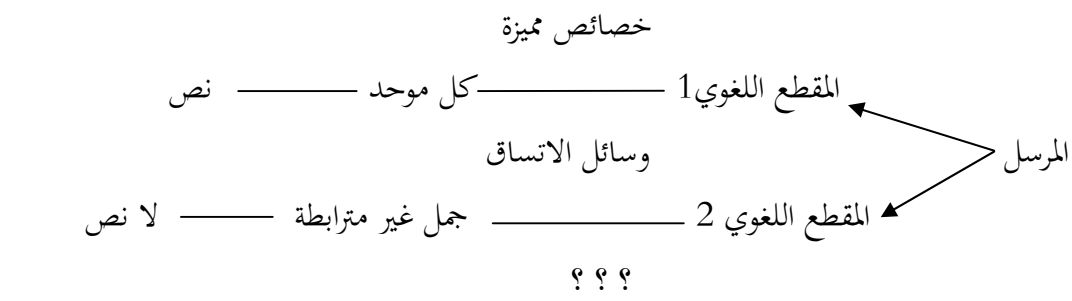

(ينظر مُحَمَّد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ص 12،13)

فالنص عند هاليداي ورقية حسن وحدة دلالية بغض النظر عن الطول والقصر، فمادامت النصية قد توفرت فهو نص؛ وعليه يأخذ الاتساق عند هذين الباحثين مفهوما دلاليًّا، أيْ تلك العلاقات المعنوية التي نلمسها في النص من جهة، والعلاقات النحوية المعجمية من جهة ثانية، ثم ما تعبر به الأصوات من جهة ثالثة؛ فالاتساق يرتكز على المعنى والتركيب (معنى + نحو وصرف) ومعجم وصوت(حروف،حركات، تنغيم...). وإذا كان المستوى النحوي عند هاليداي ورقية حسن يمثل طرفاً في الاتساق(وهو رأي اللغويين العرب القدماء)، فإن العلاقات النحوية عند تون فان دايك T.V.Dijk

تكـون تابعـة للعلاقـات الدلاليـة تُمثِّـل الجمـل فيهـا الأبنيـة الصـغرى، في حـين تكـون الأبنيـة الكـبرى هـي النصـوص. ويشـير الباحـث إلى قضـية الانسـجام النصـي، ذلـك أن البنيـة الكليـة تـؤدي إلى التماسـك بـين وحـدات الـنص الكـبرى والصـغرى.(ينظـر تـون فـان دايـك: علـم الـنص مـدخل متـداخل الاختصاصـات، ص45 ومـا بعـدها).وهـذا يبـين أن الـنص يتكـون مـن بنيـة كليـة شـاملة، وأبنيـة كـبرى، وأخـرى صـغرى. وتـربط بـين هـذه الأبنية أو البنى علاقات اتساق وروابط انسجام وكل منهما يكمل الآخر.

بعـد اسـتقراء كـلام البـاحثين وصـل دي بوجرانـد De Beaugrande إلى أنَّ نصـية نـص مـا لا تقـوم إلا إذا توفرت معايير سبعة مجتمعة هي: السبك، الحبك، القصد، القبول، الإعلامية، الموقف، التناص.

وباجتمـاع هـذه المعـايير يكـون دي بوجرانـد قـد جمـع المسـتوى الـدلالي والتركيـبي والتـداولي، الـذي يراعـى فيـه دور المتلقـي والسـياق. ومـع قليـل مـن التأمـل نجـد أن البـاحثين انقسـموا إلى ثلاثـة أقسـام: قسـم ركـز في تعريفـه للـنص علـى المضـمون، وقسـم ركـز في تعريفـه علـى الشـكل، متبعـا في ذلـك نهـج وصـف الجمـل مـع قليـل مـن التوسـع في الجانـب النحـوي حـتى يـبرز مميـزات الـنص. وأمـا القسـم الثالـث فقـد حـاول الـدمج بـين القسمين الأوليين أيْ تناول النص من ناحية الشكل والمضمون معاً، هذا عند الباحثين الغربيين.

وأمـا عنـد علمـاء العـرب وباحثـيهم فقـد كانـت الحاجـة ملحـة لفهـم الـنص القـرآني بالدرجـة الأولى.والمتتبـع للـتراث العـربي الإسـلامي لـن يعـدم وجـود **تفكـير لسـاني** بلغـت اهتماماتـه حـدَّ الحـديث عـن **التماسـك النصي** من خلال دروس البلاغة والنقد والتفسير والنحو واللغة بصفة عامة.

والـتمكُّنُ مـن اللغـة والإمسـاك بزمامهـا ومعرفـة كُنْهِهـا وأسـرارها وسَـبْر أغْوارهـا يـؤدي دون شـك إلى **البيـان** الـذي قـال عنـه الرسـول ﷺ « **إنَّ مـن البيـان لَسِـحراً** »؛ ومـع تطـور البحـوث علـى مـرِّ العصـور بلـغ البيـان مبلغـاً عظيمـاً، فهـذا الجـاحظ الـذي أرسـى أسـس كتابـه البيـان والتبيـين علـى ثنائيـة الفهـم والإفهـام أو الفهـم والتفهـيم، حيـث أوعـز فكـرة الإفهـام إلى المـتكلم (المرسـل) وفكـرة الفهـم إلى المتلقـي. وبـين المرسـل والمتلقـي توجـد رسـالة تتمثـل في تلـك" المعـاني القائمـة في صـدور العبـاد، المتصـورة في أذهـانهم، والمتخلجـة (المتحركـة) في نفوسـهم، والمتصـلة بخـواطرهم، والحادثـة عـن فكـرهم، مسـتورة خفيـة، وبعيـدة وحشـية، ومحجوبـة مكنونـة، وموجـودة في معـنى معدومـة لا يعـرف الإنسـان ضـمير صـاحبه ولا حاجـة أخيـه وخليطـه."(الجـاحظ: البيـان والتبيين، ص56).

فالجـاحظ عنـدما يتحـدث عـن البيـان يربطـه بعمليـة التواصـل والتفاعـل بـين مرسـلٍ ومتلـقٍّ، ولا ننتظـر أن يحـدث التفاعـل إلا إذا كـان المعـنى واضـحاً ولا يكـون الوضـوح إلا بالبيـان الـذي هـو" اسـم جـامع لكـل

شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان... لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام. فبأيّ شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع."(الجاحظ: البيان والتبيين، ص56). فالرسالة تنطلق من المرسل مشفرة لتصل إلى المتلقي، ويكون البيان هو المفتاح الذي يفك بوساطته المتلقي تلك الشفرات، ويكون أسهل السبل وأيسرها للفهم.

والبيان هو الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي، ويتجسد عند الجاحظ من خلال المراتب الخمس: اللفظ، الإشارة، العقد، الخط والنصبة(الحال).(ينظر محمد الصغير بناني: النظرية اللسانية والبلاغة الأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ص67 وما بعدها). ويشير كثير من الباحثين إلى أن الجاحظ عندما يتحدث عن البيان إنما يتجه كلامه نحو النص، لأن البيان لا يكون في المفردات المبعثرة، ولا في الجمل المعزولة، وإنما يتأتى ذلك بالكل المترابط المتفاعل؛ وكذلك الكلام عن النظم عند علماء العرب الأوائل إنما هو كلام عن النص (سيأتي الكلام عن ذلك لاحقا).

إن كتب التراث لم تصرح بمصطلح النص، ولكن الحديث عنه نجده مبثوثا في ثنايا المؤلفات، وهذه المفاهيم المبثوثة تشكل في حقيقتها مجموعة من المعايير قننها المحدثون في نظرية معرفية متكاملة المعالم عرفت بعلم النص أو لسانيات النص وترتكز حسب رأي الباحثين على الأسس التالية:

- ❖ كون النص مكتوبا أو منطوقا.
- ❖ مراعاة الجانب الدلالي.
- ❖ مراعاة الجانب التداولي.
- ❖ مراعاة جانب السياق.
- ❖ مراعاة جانب التماسك.
- ❖ مراعاة الجانب الوظيفي والتواصل بين المنتج والمتلقي.

وهذه المعايير تبرز سمات النص.(ينظر صبحي إبراهيم الفقي: علم لغة النص، ج1، ص ص28، 29).

واستنادا إلى ما ذكره إبراهيم الفقي فإن البحوث العربية قديما لم تقف عند حدود المفاهيم، بل تجاوزته إلى ذكر المعايير النصية التي تجعل من النص موضوع الاهتمام والدراسة. فمما لا شك فيه أن أقوال البلاغيين وأعمال المفسرين واللغويين والنقاد تُعَدُّ في مجملها بحثاً نصيًّا، وكل ما نحتاجه هو غربلة هذه الأعمال والآراء واستقصائها، وتتبع دقائقها لمعرفة تلك الآراء النصية انطلاقا من الكتاب

لسيبويه(ت180هـ) إلى الحيوان، والبيان والتبيين للجاحظ(ت255هـ) إلى عيار الشعر لابن طباطبا(ت322هـ) وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري(ت395هـ)، والمغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار(ت415هـ)، والعمدة لابن رشيق(ت456 هـ) ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني(ت684هـ) وغيرهم. وصولا إلى أعمال المفسرين كابن كثير والرازي والسيوطي والزركشي وسيد قطب وغيرهم... والباحثين المعاصرين أمثال عبد الرحمان الحاج صالح، و تمام حسان، وصبحي إبراهيم الفقي، وسعيد حسن بحيري، وهلمَّ جراً...

فهذا عبد المالك مرتاض يرى في كتابه (نظرية النص الأدبي) الصفحة السابعة أن النص هو ذلك الالتحام بين اللغة والخيال المبدع، ثم التقاؤه مع نصوص أخرى من خلال التناص ليشكل نسيجاً محكماً. ويحاول مُحَمَّد مفتاح رسم معالم النص فيرى أنه" عبارة عن متتالية من الجمل بينها علاقة من العلاقات، ومتى انعدمت هذه العلاقة لا يبقى هناك نص."(مُحَمَّد مفتاح: التحليل السيميائي أبعاده وأدواته، ع1، ص17).

وأما الأزهر الزناد فالنص عنده عبارة عن" نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة المتباعدة في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح النص".(الأزهر الزناد: نسيج النص- بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، ص12).

ويشبه النص من حيث هو ملفوظ بجبل الجليد العائم، حيث يبرز للعيان جزء يسير منه وهو شكله الصوتي، وهذا الشكل جامع للشكل التركيبي والشكل الدلالي وما يتفرع إليه من فروع، وهي مجتمعة تمثل الجزء الخفي من هذا الجبل الجليدي العائم.(ينظر: نسيج النص، ص170). إن ما ذكره الباحث ينطبق على الخطاب أو النص المنطوق حيث يكون المستوى الصوتي هو الظاهر والمهيمن وفي الوقت ذاته هو لا ينفصل عن المستوى التركيبي والمستوى الدلالي.

وأما صلاح فضل فيرى أن النص ليس مجرد متواليات من مجموعة علاقات تقع بين حدين فاصلين، حيث إن التنظيم الداخلي الذي يحيل إلى مستوى التراكيب أفقيا في كلٍّ بنيويٍّ لازم وضروري للنص؛ ومن هنا يكون بروز البنية كشرط أساسي في تكوين النص.(ينظر صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص301). إن صلاح فضل يضع البنية الكبرى أو الشاملة كشرط أساسي لأنها تمثيل دلالي للنص، غير أن هذه البنية وحدها غير كافية لتكوين النص بل لا بد من توفر علاقات تجعل من النص كلا بنيويا

متكـاملا، وعليـه فـالنص يجـب أن تتـوفر فيـه البنيـة الشـاملة بالإضـافة إلى علاقـات الاتسـاق وآليـات الانسجام التي تجعل منه وحدة متكاملة.

وظيفة لسانيات النص:

يرى كثير من الباحثين أن وظيفة لسانيات النص تتجلى في:

1. **الوصـف النصـي:** ويقصـد بـه توضـيح مكـونات الـنص ابتـداءً مـن العنـوان إلى الجمـل، ثم بيـان الموضـوعات الـتي تناولهـا، وتنـدرج الدراسـة الإحصـائية تحـت إطـار الوصـف مـن حيـث بيـان الـروابط الموجودة في النص.
2. **التحليـل النصـي:** وهـو بيـان الوظيفـة الـتي تؤديهـا الـروابط الداخليـة والخارجيـة، ويـبرز دور السـياق في تفسير أبعاد النص.

وقـد ربـط كثـير مـن المحللـين هـاتين الـوظيفتين بالتواصـل، وعـدم إغفـال دور القـارئ أو المتلقـي أثنـاء عمليـة القراءة (أين تتم عملية التفكيك). ونستخلص مما سبق أن عمل المحلل يكون في:

1. إحصاء الروابط التي تسهم في التحليل.
2. وصف شكل النص وموضوعاته ووصف الأدوات والروابط.
3. إبـراز دور هـذه الأدوات في تحقيـق التماسـك النصـي، مـع ضـرورة الاهتمـام بالسـياق والتواصـل.(ينظـر صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي،ص55).

وبهـذا يكـون هـدف لسـانيات الـنص هـو وصـف العلاقـات الداخليـة والخارجيـة للأبنيـة النصـية في مختلـف مسـتوياتها، مـع شـرح أشـكال التواصـل ومظـاهر اسـتخدام اللغـة، والوقـوف عنـد مظـاهر الاتسـاق والانسجام من أجل الوصول إلى القوانين والمعايير التي تحكم النصوص ولا تستقيم إلا بها.

ويـرى مُحَمَّد عبـد اللطيـف حماسـة أن التحليـل لكـي "يكـون تحلـيلا نصـيا لا بـد أن يؤسـس علـى الـنص نفسـه، ولا يمكـن أن يصـبح الـنص نصـا إلا إذا كـان رسـالة لغويـة تشـغل حيـزا معينـا، فيهـا جدليـة محكمـة، مضـفورة مـن المفـردات، والبنيـة النحويـة تؤلـف سـياقا خاصـا بالـنص نفسـه؛ ولأبنـاء اللغـة سـليقة تهـديهم إلى معرفـة النظـام النحـوي بكـل أبعـاده الصـوتية والمعجميـة والتركيبيـة (سـليقة نصـية) تسـاعد علـى إدراك وحـدة الـنص."(مُحَمَّد حماسـة عبـد اللطيـف: الإبـداع المـوازي- التحليـل النصـي للشـعر، ص15).والجديـد الـذي أضـافه الباحـث هـو معرفـة المحلـل للغتـه، وإدراكـه لأبعادهـا النحويـة والصـرفية والصـوتية والمعجميـة والدلاليـة، لأن ثقافـة المحلـل و معرفتـه لـدقائق لغتـه تمكنـه مـن ولـوج عـالم الـنص والإبحـار فيـه.وفي كتابـه (النحـو والدلالـة-

مدخل إلى دراسة المعنى النحوي- الدلالي، ص48). هنا يشير الباحث إلى أن الوصف النحوي لم يكن يوماً جامداً خاليا من الدلالة، فهو وصف للعلاقات التي تربط عناصر الجملة الواحدة، وتضم بعضها إلى بعض، وهي مستمدة من أمرين:

الأول: لغوي، يحكمه وضع الكلمات بطريقة معينة في كُتَلٍ صوتية خاصة.

والثاني: عقلي، وهو المفهوم المترتب على الوضع السابق، من حيث ارتباط هيئة تركيبية بدلالة وضعية معينة. ويؤكد في (الصفحة 53) من الكتاب ذاته بأن الكلمات لا معنى لها خارج السياق الذي ترد فيه. وهذا ما جعل القدماء يركزون (مقتضى الحال وأهمية المقام...)

النص من المنظور البنيوي:

من المعروف أن الدرس البنيوي يقوم على تجزئة النص- الروائي خاصة – إلى وحدات صغيرة من أجل اكتشاف بنيته، مع التركيز على الظواهر الأسلوبية التي يحتويها النص، والظواهر الصوتية كالإيقاع والنبر... ، ولهذا قيل إن البنيوية اهتمت بكيفية إنتاج المعنى لا بالمعنى ذاته، دون الاهتمام بما تسعى اللغة إلى تحقيقه؛ لأن عملها يرتكز على اللغة ذاتها من جهة، وعلى بنية العمل ونظامه من جهة ثانية. وهذا بطبيعة الحال لا يتأتَّى إلا بتجريد العمل من أبعاد المعنى ومن الذاتية والاجتماعية.

ومما لا شك فيه أن النص الذي يمكن أن نحكم على نصيته هو ذلك النص الذي تكون بنيته متكاملة أيْ يكون عبارة عن بناء لغوي متماسك، ومن ثمَّ يمكن فرز لبناته، فيتم تصنيفها وتحليلها مع ضرورة تحديد القوانين العامة التي تعمل من خلالها هذه اللبنة، وذلك بمعالجة الحروف وألفاظ والجمل والعبارات من خلال علاقاتها فيما بينها قبلياً وبعدياً.

كما يقوم التحليل البنيوي على محاولة استخلاص ما يسميه البنيويون " وحدات وظيفية " وهي في نظرهم وحدات يمكن تطبيقها على الأعمال الأدبية جميعها. ومن هذه الوحدات ما ذكره ليفي شتراوس Lévi.Strauss تحت اسم "الوحدات المتعارضة"، وهي في ظاهرها كالحياة والموت، والأرض والسماء، والرجل والمرأة... متعارضة لكنها في الحقيقة متكاملة، ولا يقوم بناء أيّ شيء في الكون إلا بها(ينظر وليد قصاب: مناهج النقد الأدبي الحديث، 2007، ص135 إلى ص140).

والنص في نظر البنيويين عالَمٌ مستقلٌ قائمٌ بذاته، بنيته متماسكة منتظمة، مُكْتفٍ بنفسه فهو في غنىً عن سيرة مؤلفه، وعن الظروف الخارجية، سواء أكانت تاريخية أم اجتماعية أم عقائدية، فهو كما يقولون" كل الصيد في

جوف الفرا" (وليد قصاب: مناهج النقد الأدبي الحديث،ص141). وهو ما ذهبت إليه المدارس النقدية الجديدة؛ فكل ما يحتاج إليه المحلل متوفر في النص؛ أيْ إن النص يجنبه عناء الكَّدِّ ومشقة البحث. وهو عندهم (أيْ النص) مغلق ونهائي، ينتهي بمجرد أن يفرغ المؤلف من تأليفه فلا شيء يضاف إليه بعد الانتهاء من كتابته، ثم إن تفسيره كذلك مغلق ونهائي.

وهذا لا يعني أنه لا يحتمل إلا تفسيرا واحدا، بل إنه بعد الانتهاء من كتابته ينغلق على نفسه فيصبح مستقلا عن مبدعه و عن متلقيه أيضاً. إلا أنه يكون متعدد الدلالات فهو ليس أحادي المعنى، بل متنوع وغني، أبوابه مفتوحة على تأويلات كثيرة، وتفسيرات لا حصر لها. لكن هذه التأويلات والتفسيرات لا تأتي من خارج النص، بل تنبع كلها من داخله.وهكذا يصبح النص صاحب السلطة؛ وله تعود الكلمة الأولى والأخيرة. وهو أيضاً ينزع إلى الاتساق والانسجام، وله نظامه الخاص، لأنه يكشف عن بنية، وعن نسق أو مجموعة أنساق محددة. لهذا لا بد من معالجة النص على أنه مجرد أسطورة، لأنه لا يُعرف لها مؤلِّف فهو مجهول النسب (ينظر عبد الملك مرتاض: نظرية النص الأدبي،ص119).

وبسبب إيمان البنيويين بهذا النظام المنسجم الذي يقوم عليه النص، فهم يسعون إلى التوفيق بين ما قد يعتريه من تناقض أو تضاد، وذلك بمحاولة رده إلى مجموعة من التقابلات الثنائية، وبيان آلية عملها للمحافظة على بنية النص ووحدته العضوية، فاللغة في النص هي التي تتكلم وليس المؤلف، ولهذا كان موت المؤلف (كما يقول بارت) لمصلحة النص(وليد قصاب: مناهج النقد الأدبي الحديث، ص141... 142).

غير أن البنيوية تفترض وجود قارئ مثالي يتصف بالذكاء ويمتلك القدرة على فتح أبواب النص الموصدة، وفك أقفاله، ومعرفة المنافذ للولوج إلى عالمه. وهكذا تكون قد قطعت صلة الرحم التي تربط الكاتب بنصه، كما عزلت البنية عن السياق، وركزت على الشكل وأهملت أو أرْجَأَتْ المضمون إلى حين، وبسبب ذلك وُجِّهَتْ إليها انتقادات كثيرة نسوق بعضها:

1. إن البنيوية ذات نزعة مادية حادة، فهي لم تُعطِ أية قيمة للمضمون، أو لقِيَمِه أو مُثُلِه أو الفِكْر الذي يحمله، لأنها متأثرة بالماركسية وبالفرويدية.

2. نظرت البنيوية إلى الأشياء جميعا على أنها ذات نظام متكامل، أو بنية مستقلة قائمة بذاتها لا تحتاج إلى أي شيء خارجها، فهي تلغي فكرة السبب والمسبب، وفكرة الخالق المدبر، وبالتالي أزاحت الذات الفاعلة، حتى وصفها روجي غارودي Roger Garaudy بأنها فلسفة موت الإنسان.
3. نظر البنيويون إلى البنية على أنها منغلقة ومعزولة عن الذات والتاريخ والمجتمع، وهي بنية لا زمانية. وانصب حديثهم على البنية والنظام والنسق واللغة، مما أحدث شرخا وانفصاما بين البنية والتاريخ لأنها تنشط خارج دائرته.
4. خلعها للنصوص- مهما كان مصدرها سماويا أو بشريا- عن مرجعيتها الفكرية وسياقها الحضاري، وبالتالي فهي لا تتفق والتصور الإسلامي للنصوص.
5. أسرفت في الاعتداد بالنموذج اللغوي وحده فقادهم ذلك إلى سجن اللغة.
6. نظرت إلى الكاتب على أنه ناسخ من كتابات قديمة ولهذا حُكم عليه بالموت.
7. حولت النص إلى هيكل مادي خالٍ من الإنسانية، ومن روح الأدب ومضمونه ورسالته اعتمادا على ما سمته بنية النص(ينظر وليد قصاب: مناهج النقد الأدبي الحديث، ص148... 158).

وبالنظر إلى سلبيات البنيوية الكثيرة، يمكن القول: بأن هذا المنهج قد يناسب الأعمال السردية " إذ يمكن تقسيم العمل السردي إلى وحدات صغرى، لأن طبيعة الشكل السردي بما فيه من حدث يتطور وحبكة وشخصيات تيسر عمليات التحليل والحركة من بناء كلي للنص إلى أصغر مكوناته وعناصره، وهذا الأمر يتعذر تحقيقه في الشعر"(عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة – من البنيوية إلى التفكيك،ص290). في حين يعد النص وحدة شاملة وحداته متفاعلة متكاملة من أجل تأدية الوظيفة التواصلية ذات صلة بالسياق.

ولهذا فإن أكبر فشل أصاب البنيوية في مقاربة النص الأدبي هو تحقيق المعنى من جهة، ومن جهة ثانية فإن الشعر بعيد كل البعد عن الرواية لأنه يرتكز على الرصيد المعجمي، وعلى التناغم الصوتي. وكان من أهم ما أنجز ليفي شتراوس Lévi.Strauss "هو نقل نموذج التحليل البنيوي للغة الذي أسسه دي سوسير إلى أنظمة وأنساق غير لغوية، مما جعل عملية نقله إلى نظام الأدب ممكناً. وسرعان ما تحولت العملية إلى عبء ثقيل أقعد البنيويين عن تحقيق هدفهم في مقاربة النص. لقد جاء تحقيق العملية على حساب المعنى... أدت إلى اختزال أو تصغير النص بصورة أفقدت التحليل العلمي القدرة على تحقيق المعنى"(عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة – من البنيوية إلى التفكيك،ص289).

لقد حاولت البنيوية الاجتهاد في البحث عن نظام اللغة من جهة، كما حاولت الاجتهاد في البحث عن نظام النص من جهة أخرى، فكل عنصر في النص يعد عنصرا مهما. ثم إن هذه العناصر تتكامل وتتفاعل لتؤدي وظيفة التواصل(كما ذكرنا).

واعتمد البنيويون في تحليلهم للنصوص على تتبع حركية الأصوات، والاعتماد على الألفاظ التي تفيد معنىً واحداً في النص، لكنها تختلف تماما عن المرجع، ولأن الدلالة قبلية فهي تقع خارج النص؛ الأمر الذي أدى إلى قصور أعمال البنيويين. وبدأ التفكير في تحليل جديد يأخذ في الحسبان شكل ومضمون النص.

بين البلاغة واللسانيات النصية:

يرى كثير من الباحثين أن لسانيات النص قد ارتكزت على البلاغة على أساس أنها سابقة تاريخيا عن علم النص، على الرغم من اختلافهما في التحليل والآليات. وبما أن البلاغة تقوم بوصف النصوص، وتحديد وظائفها المتعددة،فهذا يعني أن لها نفس هدف لسانيات النص (كما ذكرنا من قبل) إلا أن لفظ البلاغة يرتبط أكثر بالأسلوبية، وارتباطها بوسائل الإقناع ووظائف الاتصال يعني البحث في العلاقة التي تربط بين المنتج والمتلقي والنص، حتى قيل:" البلاغة هي فنُّ الخطاب الجيد". (ينظر سعيد حسن بحيري: علم لغة النص- المفاهيم والاتجاهات،2010، ص22).

وهذا ما جعل كثير من الباحثين يرون أن البلاغة قد مهدت للسانيات النص، فالانتقال من التركيز على اللغة إلى الاهتمام بالكلام، والعلاقة التي تربط بين المتكلم والمخاطَب في مجال تداولي، ووفق سياق معين، هو اهتمام البلاغيين كذلك. في حين يرفض فريق آخر هذا الرأي إذْ يرى سعيد حسن بحيري أن البلاغة تتفق مع لسانيات النص في المادة وتختلف معها في الموضوع والهدف. وأيّاً كان الرأي الصائب، فإن العلوم تؤثر وتتأثر، وفان دايك T.Van.Dijk الذي عدَّه الكثيرون المؤسس الحقيقي للسانيات النص قد ذكر أنه علم متداخل الاختصاصات.

البعد التواصلي للنص:

نظر الباحثون إلى النص في بعده التواصلي دون إهمال الأبعاد الأخرى، إذْ:" لا نستطيع تناول النص من خلال وصفه بأنه ذو وحدات كبرى أو جمل متوالية، إلا إذا وجدت خاصيته الأولى وهي كونه وارد في الاتصال." (أحمد عفيفي:نحو النص- اتجاه جديد في الدرس النحوي،2001، ص25). وهو

الرأي الذي ذهب إليه الأزهر الزناد، حيث رأى أن بعض الباحثين يطلقون مصطلح النص على" كلِّ الوحدات اللغوية ذات الوظيفة التواصلية الواضحة التي تحكمها جملة من المبادئ، منها الانسجام والتماسك والإخبارية(توفر مضمون مفيد في النص)."(الأزهر الزناد: نسيج النص، ص15).

كما ربط شميث S.Schmith بين مفهومي النص والحدث الاتصالي أيضاً، بل عمل على الربط بين أجزاء من نظرية الاتصال ونظرية النص، واستطاع الوصول إلى فهم نظرية مفسرة للاتصال اللغوي.فحدّ النص عنده هو كل تكوين لغوي منطوق في إطار عملية اتصالية، بحيث يكون محددا من جهة المضمون، ويؤدي وظيفة اتصالية. وفي موقف اتصالي ما يتحول كمٌّ من المنطوقات اللغوية إلى نص متماسك يؤدي وظيفة اجتماعية- اتصالية، أيْ يضع في الحسبان الحدث الاتصالي، ومنتج النص، والمتلقي له، والقدرة الإنجازية، بالإضافة إلى المواقف والسياقات ومضمون النص وغيرها(ينظر: سعيد حسن بحيري: علم لغة النص- المفاهيم والاتجاهات- 1997، ص80 وما بعدها). وعند التسليم بالبعد التواصلي للنص، فإنه يضم كل أنواع النصوص التي يتداولها الناس في المجتمع، من محادثات وحوارات وروايات وغيرها، بغض النظر عن حجمها.

التداولية واللسانيات النصية:

التداولية أو الذرائعية أو النفعية أو البراغماتية أو السياقية كما يحلو للبعض أن يسميها، مصطلحات للكلمة الأجنبية Pragmatique المأخوذة من الأصل اليوناني Pragma وتعني الفعل أو الحدث، إلا أن الاستعمال الشائع هو"التداولية" و"البراغماتية"أو"البراجماتية"؛ وهي:" العلم الذي بدأ تطوره على نحو صحيح منذ السنوات العشرين الأخيرة، وله خاصية التداخل مع عدة تخصصات أخرى. وقد حفزته علوم الفلسفة واللغة والأنثروبولوجيا، بل وعلم النفس وعلم الاجتماع أيضاً." (فان دايك: علم النص- مدخل متداخل الاختصاصات- 2001، ص114).

ويرى الباحث مسعود صحراوي أن التداولية " ليست علماً لغوياً محضاً بالمعنى التقليدي، لأنه لا يقف عند وصف البنية اللغوية وتفسيرها تفسيراً ظاهرياً شكلياً، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظاهرة اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة (التواصل اللغوي وتفسيره)."(مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، 2005، ص 16). أيْ إنَّ التداولية تبحث في

ظروف نجاح العملية التواصلية التي تتم في مقام معين، والسياقات التي تحكم هذا المقام، ودور المشاركين في الخطاب. فهي تبحث في القوانين التي تحكم عملية التواصل اللغوي، وكشف القدرات الإنسانية الكامنة، وبالتالي تصبح التداولية " جديرة بأن تسمى علم الاستعمال اللغوي،"(مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص17) لأنها متصلة أساساً بعملية التواصل بين المتخاطبين وتحدد شروط هذا التواصل.

كما عرف تشارلز موريس Charles.Morris التداولية بأنها "العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات"، لكنه لم يعرف ولم يحدد هذه العلامات، وأما فرانسوا ريكاناتي François.Recanati فيعرفها بأنها" دراسة استعمال اللغة في الخطاب"، في حين يرى فرانسيس جاك Francis.Jacques أن التداولية "تتطرق إلى اللغة الخطابية والتواصلية والاجتماعية معاً. وقد جعلها موريس Morris فرعا من فروع السيميولوجيا، وهذه الفروع هي: علم التراكيب وعلم الدلالة والتداولية(ينظر نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، ص 166... 168).

ويمكن القول: إن مفهوم التداولية لم يعرف الاستقرار نظراً لتعدد مشاربه واتساع المفهوم نفسه. وبالتالي فنحن أمام تداوليات وليست تداولية واحدة حسب رأي فرانسواز أرمينكو Françoise.Armengaud. ولهذا كان من العسير إيجاد تعريف موحد للتداولية نظرا لارتباطها بحقول كثيرة. فهناك تعريفات ارتبطت بحقل نشأة التفكير التداولي،إذْ عدها تشارلز موريس Charles.Morris جزءًا من السيميائية وأحد مكوناتها، كما عُدَّ حقل فلسفة اللغة العادية لدى أوستين Austin وتلميذه سورل Searle نواة لتأسيس التداولية.

وتعريفات أخرى ترتبط بحقل موضوع التداولية ووظيفتها، وقد انطلقت تعريفات هذا الحقل من مسلمة مفادها أن لسانيات القرن العشرين قد ساوت بين لسانيات اللغة ولسانيات الكلام، خلافا لما أقره دي سوسير De.Saussure في أن موضوع اللسانيات ألا وهو دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها. وتتفق هذه التعريفات في أن التداولية تهتم بشروط الخطاب المنطوق أكثر من المكتوب.

بينما نجد تعريفات ارتبط بحقل التواصل والأداء، فالتداولية عند أصحاب هذه التعريفات تقوم على دراسة الاستعمال اللغوي، وبالتالي انصب اهتمامها على دراسة العلاقة بين المتكلم والمتلقي، مع دراسة عمليات الاتصال والتفاعل بين أطراف هذا الاتصال. وتعريفات أخرى ترتبط بحقل علاقتها بعلوم أخرى، كعلاقتها بعلم الدلالة، وبالنحو، وعلاقتها باللسانيات النفسية والاجتماعية

وبالتعليمية.وعلاقتها باللسانيات النصية، وتحليل الخطاب وغيرها.(ينظر خليفة بوجادي: اللسانيات التداولية، ص 66...73).

غير أن المتفق عليه أن التداولية علم يدرس عملية التواصل والتفاعل بين المرسل والمتلقي.وبالتالي فإن صلتها بالخطاب المنطوق أقوى من صلتها بالنص المكتوب كما ذكرنا. والسؤال الذي يُطرح كيف نظر التداوليون إلى أفعال الكلام؟.

أفعال الكلام في نظر التداوليين:

تعد التداولية "حلقة وصل بين حقول معرفية عديدة منها الفلسفة التحليلية متمثلة في فلسفة اللغة العادية، ومنها علم النفس المعرفي ممثلا في نظرية الملاءمة Théorie de pertinence ومنها علوم التواصل ومنها اللسانيات بطبيعة الحال... والفلسفة التحليلية هي الينبوع المعرفي لأول مفهوم تداولي وهو الأفعال الكلامية."(ينظر مسعود صحراوي:التداولية عند العلماء العرب، ص ص 16- 17).

وقد نشأت هذه الفلسفة على يد الألماني غوتلوب فريجه Gottlob.Fregé(1848- 1925)؛ وتأثر بهذه الفلسفة هوسرل Husserl وكارناب Carnap وفيتغنشتاين Wittgenstein وأوستين Austin وسيرل Searle وغيرهم. ثم انقسمت الفلسفة التحليلية إلى ثلاثة اتجاهات كبرى هي:

1. الوضعانية المنطقية Positivisme بزعامة رودولف كارناب R.Carnap.
2. الظاهراتية اللغوية Phénoménologie du langage بزعامة هوسرل Husserl.
3. فلسفة اللغة العادية Philosophie du langage ordinaire **بزعامة فيتغنشتاين** Wittgenstein .

ومن فلسفة اللغة العادية انبثقت ظاهرة "الأفعال الكلامية". والملاحظ أن الاتجاه الأول والثاني قد خرجا عن التداولية، وأن أعمال فيتغنشتاين Wittgenstein لم يكتب لها النجاح إلا على يد فلاسفة أكسفورد Oxford وبخاصة ج.ل.أوستين John.Langshaw.Austin في كتابه"عندما يكون القول هو الفعل" Quand dire c'est faire وكذلك تلميذه سيرل Searle. (ينظر مسعود صحراوي:التداولية عند العلماء العرب، ص18... 24).

وانطلاقا من الفلسفة التحليلية، فإن المهمة الأولى التي تضطلع بها التداولية هي النظر إلى مدى نجاح إنجاز الأفعال(إننا نقول لنفعل) والبحث في الشروط التي تجعل الأقوال منجزة أفعالا، عندها يمكن الحكم على العبارة بالقبول أو الرفض أيْ بالنجاح أو الفشل،" فبينما يقدم النحو تفسيراً للعلة التي بها

يكون محل العبارة أو موضوعها سائغاً مقبولاً، فإن أحد مهام التداولية هو أن يتيح صياغة شروط نجاح إنجاز العبارة."(فان دايك: النص والسياق- استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ،2000،ص256)

والمهمة الثانية للتداولية تتعلق بالسياق، وإحصاء المواقف التي من الممكن أن تعبر عنها الأقوال في لغة معينة، وعلى التداولية " أن « تنزل » هذه الأفعال في موقف معين، وأن تصيغ الشروط التي تنص على أي العبارات تكون ناجحة في أي موقف من المواقف؛ أعني أننا نحتاج إلى وصف مجرد لهذا الموقف لفعل كلامي متداخل الإنجاز"(فان دايك: النص والسياق- استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي،ص257).

فإذا كان لكل مقام مقال، وكانت دراسة استعمال اللغة في المواقف المختلفة لغرض تواصلي محدد، وكانت الأفعال الكلامية هي أهم ما يميز التداولية، بل هي حجر الزاوية فيها، فهذا يعني أن الفعل الكلامي يحظى باهتمام الدارسين على أساس أنه قطب الرحى بالنسبة لأعمال التداوليين على اختلاف آرائهم.

فالفعل الكلامي هو" كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري... ويعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية Actes-locutoires لتحقيق أغراض إنجازية Acte llocutoires(كالطلب والأمر والوعد والوعيد...) وغايات تأثيرية Actes-perlocutoires تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول."(مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 40).وفعل القول أو الفعل اللغوي Acte-locutoire وبهذا تكون التداولية من أهم انجازات اللسانيات النصية، فقد اهتمت بالخطاب وبأنماطه المختلفة،كالمحادثة والحجاج وغيرهما، كما ركزت اهتمامها على الجانب التواصلي انطلاقا من ظروف إنتاج الملفوظ، مروراً بعناصر السياق، وصولا إلى التأثير في السامع / المتلقي.

كما تظهر أهميتها أيضا من حيث إنها " تهتم بالأسئلة الهامة والإشكاليات الجوهرية في النص الأدبي المعاصر، لأنها تحاول الإحاطة بعديد من الأسئلة من قبيل: من يتكلم؟ وإلى من يتكلم؟ وماذا نقول بالضبط عندما نتكلم؟ وما هو مصدر التشويش والإيضاح؟ وكيف نتكلم بشيء ونريد قول شيء آخر؟"(فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، نقلا عن خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص135).

ويرى عبد الهادي بن ظافر الشهري في كتابه استراتيجيات الخطاب أن التداولية وصلت إلى مرحلة اهتمت فيها بأكثر من جانب من جوانب الخطاب، وبالتالي أخذت ثلاث مسارات: الأفعال الكلامية

والقصد أو المعنى التداولي والإشاريات، ويؤكد أنه لا يمكن تحديد هذه الجوانب بدقة إلا في الخطاب المستعمل أو المنجز.

وبهذا يكون البحث اللساني قد خطا خطوات عملاقة نحو الدلالات بالالتفات نحو السياق والاهتمام بأحوال المتخاطبين، وبعناصر التواصل.وتفطن الباحثون إلى أن نحو الجملة لم يعد يلبي حاجات البحث اللغوي فراحوا يبحثون عن وحدة أكبر تكون صالحة للتحليل يمكنها استيعاب الظواهر غير اللغوية، واستقر البحث على النص كبديل للجملة. وفُتِحَتْ الأبواب واسعة على اللسانيات النصية، وبدأ التفكير في وضع آليات لتحليل النصوص انطلاقا مما توصل إليه البحث اللغوي في شتى جوانبه.

من الجملة إلى النص:

تُعد الجملة الحجر الأساس في الدراسات النحوية لأنها المركب الذي ينطوي على فكرة تامة يلجأ إليها المتكلم للتعبير عن أفكاره.لهذا ظلت الأنظار متجهة نحو الجملة كوحدة أساسية، بل كأكبر وحدة قابلة للوصف ليس عند الباحثين العرب فحسب بل والغربيين كذلك. و" يمكن القول بشكل عام إنه إلى منتصف الستينيات كانت الجملة هي التي ينظر إليها مطلقا على أنها الوحدة الأساسية في علم اللغة وأكبر ما يحيط به، وهي من ثم وحدة قابلة للدراسة اللغوية."(فولفانج وفيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي،ص19).فقد تكون الجملة هي أكبر وحدة نحوية، لكنها ليست أكبر وحدة لغوية.

وبالنظر إلى الدراسات التي سبقت ظهور لسانيات النص نجد أنها لم تخرج عن المحاور التالية:"

- ✓ تعريف الجملة ومكوناتها وأبعادها، بالاعتماد على مفهوم الإسناد ومكوناته المباشرة.
- ✓ تحليل الجملة والوقوف على عناصرها وما تشمل عليه من مركبات:اسمي وفعلي ووصفي وظرفي وغيرها.
- ✓ بيان الربط بين عناصر الجملة.
- ✓ وصف بنية الجمل والتمييز بينها من حيث البساطة والتركيب.
- ✓ تحديد وظائف مختلف الجمل من تقريرية واستفهامية وتعجبية ..."(محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص ص68- 69.)

ولهذه الأسباب ظهرت نداءات تدعو إلى تجاوز مستوى الجملة، التي لم تعد كافية لدراسة جميع الأبنية اللغوية؛ والكلام لا يمكن أن يكون في صورة كلمات أو جمل بل يكون نصا مترابطا، وهذا ما يبدو

"معقولا أنها تتطلب علم النصوص، الذي يجب أن يكون قادراً على وصف أو شرح كل النصوص والعلاقات الفارقة بين هذه النصوص أو أنماط النص. وهكذا يمكن لنحو النص أن يشخص العلاقات التي تكون في ما وراء الجملة، والمتمثلة المستوى المعجمي والمستوى النحوي والدلالي، لأن النص وحدة دلالية خاضعة إلى سياق معين حيث تكون الجملة مجسدة للوحدة الدلالية التي يشكلها النص في موقف اتصالي ما، وهو ما يفسر علاقة النص بالجملة."(جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية ولسانيات النص، ص68).

إلا أن هذه الآراء-على كثرتها- لم تجزم بأن التحليل النصي قد تخلى عن التحليل الجملي كليًّا، وإنما تم تجاوز الجملة للوصول إلى نصية النص. وحاول دي بوجراند De-Beaugrande يبان الفروق الجوهرية بين الجملة والنص،التي لأجلها كانت الدعوة إلى تجاوز التحليل الجملي:"

1. إن النص نظام فعَّال على حين نجد الجمل عناصر من نظام افتراضي.
2. الجملة كيان قواعدي خالص يتحدد على مستوى النحو فحسب، وأما النص فحقه أن يُعرف تبعا للمعايير الكاملة للنصية.
3. إن قيود القواعد المفروضة على البنية التجريدية للجملة في النص يمكن أن يتم التغلب عليها بواسطة الاهتمام بتحفيزات تعتمد على سياق الموقف.
4. التمييز بين ما يطابق القواعد، وما لا يطابقها تمييزا تقابليا ثنائيا... فالحكم بأن تركيباً ما يعد جملة يتم بمقارنة هذا التركيب بالأنماط التي تسمح بها القواعد النحوية. أما التمييز بين ما يعد نصاً فلا يتم بمثل هذه المقارنة الآلية، فكون النص مقبولا أو غير مقبول يتم بحسب درجة معقدة لا بحسب تقابل ثنائي.
5. ينبغي للنص أن يتصل بموقف يكون فيه، تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات والتوقعات والمعارف، وهذه البيئة الشاسعة تسمى سياق الموقف. وأما التركيب الداخلي للنص فهو سياق البنية.
6. لا يمكن النظر إلى النص بزعم أنه مجرد صورة مكونة من الوحدات الصرفية أو الرموز، إن النص تجلٍّ لعمل إنساني ينوي به شخص أن ينتج نصا ويوجه السامعين إلى أن يبنوا عليه علاقات من أنواع مختلفة... وليست الجملة عملا، وبهذا كانت ذات أثر محدود في المواقف الإنسانية لأنها تستعمل لتعريف الناس كيفية بناء العلاقات النحوية.

7. النص توالٍ من الحالات، فالحالة المعلومية و الحالة الانفعالية والحالة الاجتماعية... ومستعملي النص عرضة للتغيير بواسطة النص... ويأتي إنتاج النص، وفهمه في صورة توالٍ من الوقائع، وفي المقابل يجري النظر إلى الجمل بوصفها عناصر من نظام ثابت متزامن.
8. إن الأعراف الاجتماعية تنطبق على النصوص أكثر مما تنطبق على الجمل، فالوعي الاجتماعي ينطبق على الوقائع لا على أنظمة القواعد النحوية.
9. العوامل النفسية أوثق علاقة بالنصوص منها بالجمل.
10. إن النصوص تشير إلى نصوص أخرى بطريقة تختلف عن اقتضاء الجمل لغيرها من الجمل."(روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص89...94).

فالجملة في نظر دي بوجراند لم تعد مكتفية بذاتها، بل قد لا تحتاج إلى جمل سابقة وأخرى لاحقة كي تتضح دلالاتها، على خلاف النص الذي يُعدُّ كلاًّ متفاعلاً، وحداتُه لا تقبل التجزئة. والأزهر الزناد يفرق بين نوعين من الجمل، حيث توجد جمل نظام والمقصود منها شكل الجمل المجرد الذي يولد جميع الجمل الممكنة المقبولة في نحو لغة ما؛ وجمل نصية وهي الجمل المنجزة فعلاً في المقام حيث تتوفر ملابسات لا يمكن حصرها، ويقوم عليها الفهم والإفهام.(ينظر الأزهر الزناد: نسيج النص..، ص15 وما بعدها).

وبما أن المتخاطبين يتعاملون بالنصوص لا بالجمل المعزولة من جهة، ومن جهة أخرى فإن دلالة الجملة(في النص طبعا) تتوقف على الجملة السابقة والجملة اللاحقة، فهذا يعني أن هناك فراغاً في التحليل الجملي غير التحليل النصي.ونتيجة لهذا القصور كان لا بد من البحث عن البديل فكان النص/ الخطاب.

النص والخطاب:

تختلف المصطلحات من باحث إلى آخر باختلاف المناهل والأيديولوجيات، واختلاف الرؤى وبخاصة في العلوم الإنسانية، وذلك بحكم مادتها التي لا تخضع لتجربة علمية دقيقة؛ وهو الأمر الذي أدى إلى النظر إلى النص والخطاب على أن كل مصطلح يختلف عن الآخر عند البعض، وعند البعض الآخر يؤديان إلى المعنى نفسه. ففي أساس البلاغة ورد قول صاحبه: "خَطَبَ، خَاطَبَهُ خِطَاباً : أحسن المواجهة بالكلام"(الزمخشري: أساس البلاغة، ج1، ص255).

وقيل:"الخطاب في اللسانيات هو مجموع الكلمات، الملفوظات، الشفوية أو غير الشفوية" (Dictionnaire Hachette, encyclopédique,p478.)

وفي قوله تعالى في سورة (ص): ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ﴾ الآية 20.وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الخِطَابِ﴾ الآية23. ففصل الخطاب هو القول الفصل الجامع لكل شروط الإقناع.

وأما الآية الثانية﴿وَعَزَّنِي فِي الخِطَابِ﴾ أيْ "غلبني، يُقال: عزَّ يعز إذا قهر وغلب."(تفسير ابن كثير:ج 6، ص33). والغلبة في الخطاب تكون عندما لا يخضع لحجة أو دليل، بل يعتمد على الجدل بغير وجه حق والمراوغة.

وفي قوله تعالى:﴿وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُغْرَقُونَ﴾ هود37. المخاطبة هنا التوجه بالكلام إلى المتلقي.وفي السياق نفسه جاء قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَماً﴾ الفرقان63، أيْ إذا وُجَّهَ إليهم السفهاء كلاما غير لائق، ردوا بكلام يليق بمكانة المؤمن معبراً عن أخلاقهم الرفيعة وحلمهم الكبير"سلاما". فالخطاب إذاً يطلق ويراد به الملفوظ نفسه، أو يراد به عملية التلفظ، أو يراد به ما يقع فيه التلفظ، أو ما يستدعي منا المواجهة بالقول والفعل، وقد يطلق ويراد به نظام التلفظ، أو دافع القول ونظام الفعل. (ينظر عبد الواسع الحميري: الخطاب والنص ، ص28).

والحقيقة أن لفظ "خطاب" تشعبت معانيه، فقد ورد عند دي سوسير مرادفا للكلام، وفي كثير من الأحيان يتداخل مصطلح الخطاب مع مصطلح النص، فبول ريكور Paul Ricœur لا يفرق بينهما إلا من خلال الكتابة. وهو الرأي الذي يميل إليه بشير إبرير؛ فالنص عنده عبارة عن خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة.(ينظر بشير إبرير: من لسانيات الجملة إلى علم النص، مجلة التواصل، ص59).

ولفظ الخطاب أكثر ما وظف عند الأصوليين، فقد "بدا أعم وأشمل من النص بدليل أنهم جعلوا الخطاب هو محور دراساتهم، وتناولوه بوصفه موضوع علم أصول الفقه الذي بنيت قواعده على خطاب الله سبحانه، وخطاب الرسول ﷺ، وفحواهما ودليلهما ولحنهما ومعناهما المستنبط منهما، وقياس المسكوت عنه على المنطوق به بما يوجبه الاستنباط من التعليل، ما أوجب تقديم بيان الخطاب واستفاء القول فيه لاشتماله على أبواب الأوامر والنواهي والأخبار، وما تفرع عليهما من الإيجاب و الندب والكراهة والحظر والتقييد والإطلاق والعموم والخصوص والناسخ والمنسوخ، وفحوى الخطاب ودليله ومعناه."(عبد الواسع الحميري:النص والخطاب، ص45).

وعلى الرغم من أن كثير من الباحثين قد استعملوا لفظ الخطاب بمعنى النص، فإن صلاح فضل يرى أن النص والخطاب شيئان متباينان يخضعان لعرف لغوي مشترك، فعلاقة النص بالكتابة أقوى من علاقة الخطاب بها. إن الخطاب يمكنه أن يحتل درجة وسطى بين الكلام واللغة، وأما النص فإنه يخضع لشروط التنقيح والتبويب والتنظيم، وهذه الأمور لا تشترط في الخطاب.(ينظر صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص236).كما ميزوا بين النص والخطاب، وبخاصة أولئك الذين تشبعوا بالثقافة الإنجليزية، فقد رأوا أن الخطاب" نص يوجه إلى مخاطَب يتضمن موقفا/ رؤية ويمتلك ميزة التواصل/ الوصول إلى المتلقي والتأثير فيه... إنه النص الذي يتصف بالإفصاح من نحو أوّل والإبلاغ من نحو ثانٍ."(عبد المجيد زراقط: النص الأدبي ومعرفته، ص73).

ومن هذا المنظور فإن الخطاب هو مجموع الجمل المنسجمة المنطوقة، أو متواليات من الجمل المنطوقة التي تشكل الرسالة التي تحمل أفكار المخاطِب ويتم توصيلها إلى المخاطَب، وبالتالي يكون النص جزءًا من الخطاب الذي يفتح له الأفق واسعا على المستوى الدلالي. فالخطاب يحتوي"على قدر هائل من أحكام القيمة الجمالية والأخلاقية والسياسية... الخطاب نسق من الجمل لا بد أن يترابط لكي يصنع خطابا."(ديان ماكدونيل: مقدمة في نظريات الخطاب، ص ص29- 30).

فإذا أنعمنا النظر في هذه الأحكام وقفنا عند الدور الفعال الذي يلعبه الخطاب في توجيه حركية المجتمعات، ورسم فعالية المتلقي في توجيه المفاهيم، ومن هنا تتعدد صور الخطاب وتحددت الفروق الأولية بينه وبين النص، وإن كانت فروقا نظرية إلا أنها رسمت معالم كل نوع، ومن أهم هذه الفروق:"

1. يُنظر إلى النص في الأساس من حيث هو بنية مترابطة تكون وحدة دلالية، ويُنظر إلى الخطاب من حيث هو موقف ينبغي للغة فيه أن تعمل على مطابقته.
2. يحصل في ذلك القول بأن الخطاب أوسع من النص، فالخطاب بنية بالضرورة، ولكنه يتسع لعرض ملابسات إنتاجها وتلقيها وتأويلها ، ويدخل في تلك الملابسات ما ليس بلغة، كالسلوكيات الحركية المصاحبة إيجابا للاتصال.
3. النص في الأصل هو النص المكتوب، والخطاب في الأصل هو الكلام المنطوق، ولكنه يتلبس بصورة الآخر على التوسع، إذ يطلق النص على المنطوق، كما يطلق الخطاب على المكتوب كالخطاب الروائي.

4. يتميز الخطاب عادة بالطول، وذلك أنه في جوهره حوار أو مبادلة كلامية. وأما النص فيقصر حتى يكون كلمة مفردة مثل:(سكوت!) ويطول حتى يصبح مدونة مثل(رسالة الغفران)."(مُحَمَّد العبد: النص والخطاب والاتصال، ص12).

فإذا وقفنا عند بعض هذه الفروق التي ذكرها مُحَمَّد العبد وجدناه قد جعل الخطاب في مقابل الكلام، لأنه يفتقر أحيانا إلى النظام، ولكنه يخضع إلى الدلالة(ك = +د – ن)، إضافة إلى أن الكلام تُعززه سلوكيات حركية،وهي التي تكفل نجاح عملية التواصل بين المرسل والمتلقي.في حين أن النص يجب أن تتوفر فيه الدلالة والنظام أيْ(نص = + ن + د).

كما يرى الباحث أن من سمات النص أن يكون مكتوبا، في حين يكون الخطاب منطوقا، ولكنه يستدرك ويصرح أن هذا الأخير (الخطاب) قد يأتي مكتوبا كالخطاب الروائي، وأن النص قد يكون مكتوبا كما قد يأتي منطوقا. والمعروف–كما بينا في السابق– أن النص متى كان منسجما متماسكا صار نصا سواء أكان مكتوبا أم منطوقا.

وأما تمييز النص عن الخطاب من حيث الطول والقصر، فإذا كان النص لا تحكمه خاصية الطول والقصر فإن هذا ينطبق على الخطاب أيضا، فقد يطول الخطاب ويقصر أيضا. وإذا كان الخطاب يفرض وجود مرسل ومتلقي، فإن الفرق بينه وبين النص من هذه الناحية هو أن المتلقي في النص يكون مؤجلا، بينما يفترض في الخطاب وجود مخاطِب ومخاطَب في موقف تواصلي. ومن هنا نطرح السؤال التالي: أيهما أشمل النص أم الخطاب؟.

في الوقت الذي يرى فيه بعض الباحثين أن النص يشكل جزئية غير قليلة من الخطاب، يرى البعض الآخر أن النص أشمل من الخطاب، لأن النص عملية إنتاجية ، له دلالات متعددة ويتفاعل مع النصوص الأخرى.(ينظر سعيد يقطين: من النص إلى النص المترابط، ص116 وما بعدها). ويرى سعيد يقطين أيضا أن الخطاب هو" فعل الإنتاج اللفظي، ونتيجته الملموسة والمسموعة والمرئية. بينما النص هو مجموع البنيات النسقية التي تتضمن الخطاب وتستوعبه."(سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي– النص والسياق، ص16)،كما يرى أن الانتقال من النص إلى الخطاب هو الانتقال من البنيوي إلى الوظيفي، ومن المنغلق إلى المنفتح في تحليل الحكي، أيْ من الخطاب كأكبر وحدة قابلة للتحليل والوصف، إلى النص كإمكانية مفتوحة لتعدد المقاربات والتحليلات؛ وعند التحليل لا نميز عادة بين النص والخطاب.

ويرى جون ميشال آدم J.M.Adam أن الخطاب يساوي النص، بالإضافة إلى ظروف الإنتاج، بينما نجد النص يساوي الخطاب ناقص ظروف الإنتاج أيْ:

(الخطاب= النص + ظروف الإنتاج)

(النص = الخطاب- ظروف الإنتاج)

(voir J.M.Adam : Eléments de linguistique textuelle- théories et pratiques de l'analyse textuelle, p11.)

إلا أنه عند تحليل النصوص لا بد من الوقوف عند البنية النصية، دون إهمال سياقاتها المختلفة، وبهذا يمكن القول: إن النص/ الخطاب = النص/ الخطاب + ظروف الإنتاج. فالنص يجب أن يُعامل كعلامة تتحرك داخل فضاء ثقافي معين؛ فهو يظهر كمجموعة من العلاقات المشفرة المبنية، ومن خلال دراسة هذه العلاقات يمكننا الوصول إلى معناه، وتكون هذه العلاقات لغوية – دلالية، أيْ إن المحلل يمكنه الحكم على النص من خلال بنائه الداخلي، حيث تتجلى الوظيفة التنظيمية للمادة اللغوية، بالإضافة إلى التأويل. وعندما نأتي إلى التحليل لا يفرق أغلب الباحثين بين النص والخطاب، ويكون التعامل معهما بالطريقة نفسها، لأن اللغة توظف في الاستعمال بين المتخاطبين سواء كان المتلقي حاضراً أو مؤجلاً (يكون حاضرا في الخطاب ومؤجلا في النص)، فالاشتغال إذاً في التواصل أو التفاعل هو الغاية المنشودة في النص وفي الخطاب. ويقترح نور الدين السد خطاطة، يبين من خلالها مكونات الخطاب التي يمكن إسقاطها على النص أيضاً، وهي:

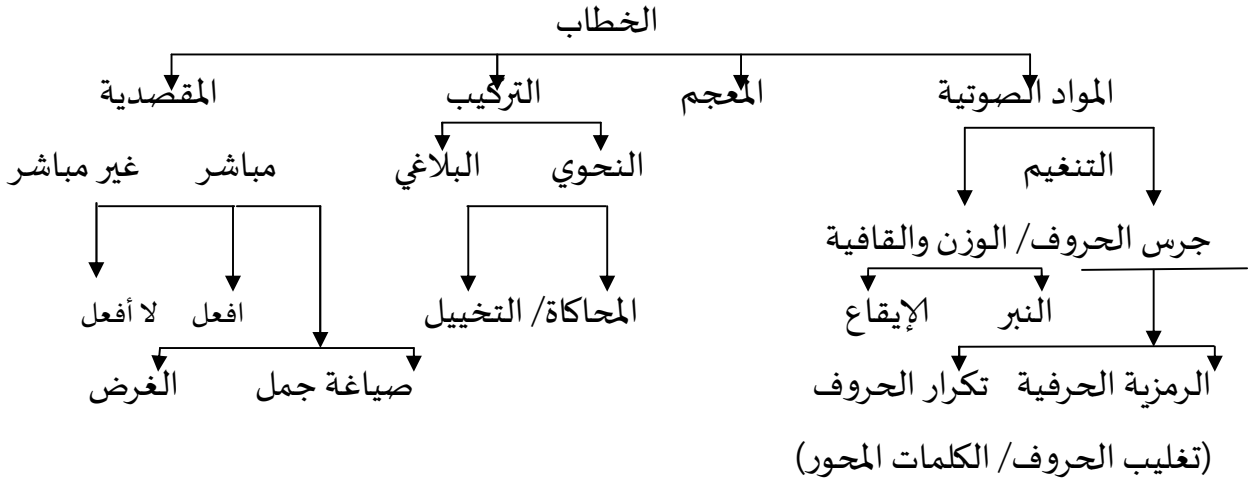

(نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب،ج2،1997، ص142)

من خلال المخطط يبدو بوضوح الاهتمام بالجانب الصوتي، والبلاغي والمقصدية، وذلك لارتباطهما بأفعال الكلام؛ ثم إن الوزن والقافية ترتبط بالشعر لا بالنثر، فإذا طبقنا المخطط على النص الشعري نلاحظ أن البنية اللغوية تقع على امتداد اللغة انطلاقا من الأصوات إلى المعجم إلى التراكيب ...

أهمية السياق في الدراسات النصية:

يرى الباحث الأمريكي سابير Sapir أن دراسة اللغة بمعزل عن السياق الحضاري والثقافي دراسة عقيمة، وقد لا تجدي نفعا لاسيما على المستوى الدلالي. كما يرى جون روبرت فيرث J.R.Firth أن الكلام الذي له خاصية الفردية عند دي سوسير، يحتاج إلى ضوابط تكون محصورة في السياق؛ و" الفكرة القائلة بإمكان تحليل سلسلة لغوية تحليلا كاملا بدون مراعاة السياق قد أصبح في السنين الأخيرة محل شك كبير... إن محلل الخطاب بإيجاز يعالج مادته اللغوية بوصفها مدونة(نصا) لعملية حركية استعملت فيها اللغة كأداة توصيلية في سياق معين من قبل متكلم أو كاتب"(براون ويول: تحليل الخطاب، ص ص32- 33). وقد صنف فيرث السياق صنفين:

1. **سياق لغوي أو سياق المقال**: وهو سياق لفظي ويضم الأصوات والصيغ الصرفية والنبر والإيقاعات والجمل المنظومة الموزونة. ولتحقيق الترابط في سياق ما لا بد أن تتوفر وسائل صنفها تمام حسان كالآتي:

- ✓ وسائل التماسك السياقي: يقصد به ترتيب الكلمات في سياق معين.
- ✓ وسائل التوافق السياقي: يقصد به المطابقة بين أجزاء الجملة من حيث الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث والحضور والغياب...
- ✓ وسائل التأثير السياقي: العلاقة المتبادلة بين الكلمات والجمل والعبارات...

فالتماسك والتوافق يؤديان بالضرورة إلى فرض علاقة وطيدة بين الفعل والفاعل والمفعول مثلا، أو بين المبتدأ والخبر، لأن وظيفة الفاعل تتميز عن وظيفة المفعول، وهذا التميز أدى إلى رفع الفاعل ونصب المفعول.(ينظر تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص237). واختلاف الوظيفة النحوية تؤثر في معنى الجملة، فالقاعدة النحوية تستمد قوتها من الدلالة والعكس صحيح.

ثُمَّ إنّ الذي يجعل" السياق مترابطا إنما هي ظواهر فيه، تفرق بينه وبين نسق من الكلمات التي لها مجرد المجاورة بلا رابط نحو[مُحَمَّد في بل قم على قبائل راكب...] فهذه الكلمات متراصة ينقصها التماسك

والتوافق والتأثير ولو توفرت لها العناصر المذكورة لأصبحت سياقا عربيا لا غبار عليه."(تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص241). وهو الأمر الذي تحدث عنه عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز وسماه(التعلُّق أو التعليق).

2. **سياق حال أو مقام**: حيث يتطلب تحديد المعنى معرفة المكان والزمان اللذيْن تتم فيهما عملية التواصل، وكذلك الأشخاص المشاركين في هذه العملية، دون إهمال وظيفة الخطاب والهدف منه، وقد رأى فيرث أن العرف الاجتماعي يساعد على تحديد المعنى.

وهكذا ساعدت آراء فيرث على ظهور اللسانيات الاجتماعية، و علم النفس اللغوي وغيرها من الدراسات. فالسياق(أو مقتضى الحال أو المقام) يفرض وجوده ضمن تحليل النصوص والخطابات لأنها "حين توجد أو بالأحرى حين تتعين في الوجود اللساني أو الكتابي بعد أن تنضج في وجودها الذهني الكموني تصير مقيدة بقيد السياقية، لأنه شرطها الشكلي الذي به تصير ذات معنى تركيبي لفظي أو خطي."(إدريس مقبول: الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، ص55). وبالتالي لا يمكن أن نجتث النص من محيطه الثقافي والاجتماعي، لأن النص يُعدُّ بنية في اتصال وهذه الخاصية أكد عليها الباحثون، إذْ يقول أحمد عفيفي:" لا نستطيع تناول النص من خلال وصفه بأنه ذو أدوات كبرى أو جمل متتالية إلا إذا وُجدت خاصيته الأولى وهي كونه وارد في الاتصال"(أحمد عفيفي: نحو النص- اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص25). ووجوده كحدث اتصالي يفرض بالضرورة الوقوف عند السياق الذي يأتي فيه هذا الحدث. وإلى هذا الرأي ذهب الأزهر الزناد و جوليا كريستيفا وشميث وغيرهم.

ثنائية الاتساق والانسجام:

قبل الخوض في الحديث عن نصية نص ما وآليات تحليله، نوضح وبصورة موجزة معنى الاتساق والانسجام أو السبك والحبك، اللذين يقوم عليهما النص/ الخطاب باعتباره كلا موحدا متماسكا.

أولا الاتساق:

التعريف اللغوي:

وقد جاء في لسان العرب لابن منظور(ت711هـ) مادة (و س ق)، وَسَقَ: الوَسْقُ و الوِسْقُ: مكيلة معلومة، وقيل هو حمل بعير... ستون صاعا أو هو ثلاثمائة وعشرون رطلا عند أهل الحجاز. الوَسْقُ:

وِقْر النخلة، وأوْسَقَتِ النخلة: كثُر حملها، و وَسَقَتِ الأتان: إذا حملت ولداً في بطنها. و وَسَقَتِ الناقة وغيرها تَسَقُ أيْ حملت وأغلقت رحمها على الماء فهي ناقة وَاسِق. والوُسُوقُ: ما دخل فيه الليل وما ضمَّ وقد وَسَقَ الليل واتَّسَقَ، وكل ما انضمَّ فقد اتَّسَقَ. واتَّسَقَ القمرُ: استوى، وفي التنزيل:﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ۞ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ۞ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾الانشقاق16،17،18.قال الفرَّاء: مَا وَسَقَ أيْ ما جمع وضمَّ، واتِّسَاقُ القمر:امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة الثالث عشرة وأربع عشرة. قال أبو عبيدة: وَمَا وَسَقَ أيْ ما جمع من الجبال والبحار والأشجار، كأنه جمعها بأن طلع عليها كلها، فإذا جلَّل الليل **الجبال والأشجار والبحار** والأرض فاجتمعت له فقد وسقها. وسقت الشيء: جمعته وحملته، والوسْق: ضمُّ الشيء إلى الشيء، وقيل كل ما جُمِع فقد وُسِقَ، والاتِّساق: الانتظام (ابن منظور: لسان العرب، مادة وسق،ج15،ص212،213).

وجاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي(ت817هـ): وَسَقَهُ، يَسِقَهُ: جمعه وحمله، ومنه: (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) وطرده، ومنه: الوَسِيقَةُ وهي من الإبل كالرفقة من الناس... والناقة: حملت وأغلقت على الماء رحمها، فهي وَاسِقٌ. واسْتَوْسَقَتِ الإبلُ: اجتمعتْ. واتَّسَقَ: انتظم، والمِساقُ: الطائر يصفق بجناحيه إذا طار.(الفيروز أبادي: القاموس المحيط،ج3، مادة وسق، ص289). وأما السيوطي(ت911هـ) فيقول: اتَّسَقَ القمرُ إذا تَمَّ وامْتَلأَ ليله أربعة عشرة، ووزن اتَّسَقَ: افْتَعَلَ، وهو مُشتق من الوَسَقِ، ويُقال اتَّسَقَ: استوى (جلال الدين السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن،ج1، ص570).

وجاء في المعجم الوسيط: وَسَقَتِ الدابة تسِقُ وَسْقاً ووُسوقاً: حملت وأغلقت على الماء رحمها، فهي وَاسِقٌ... ووسقت النخلة: حملت. ووَسِقَ الشيء: ضمَّه وجمعه. ووَسَّقَ الحَبَّ: جعله وسْقاً وسْقاً. واتَّسَقَ الشيء: اجتمع وانضم. اتَّسَقَ: انتظم، واتَّسَقَ القمرُ: استوى وامتلأ. (استوسق) الشيء: اجتمع وانضمَّ، يُقال: اسْتَوْسَقَتِ الإبلُ واسْتَوْسَقَ الأمرُ: انتظم (إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، 2005، ص1032).

من كل ما سبق يتضح أن الاتساق معناه الانتظام والاجتماع والاكتمال والضم والجمع والاستواء. وهذه التعريفات ستقودنا بلا شك إلى التعريف الاصطلاحي.

التعريف الاصطلاحي:

عرفه مُحَمَّد خطابي بقوله: "هو ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/ خطاب ما، يهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من الخطاب أو الخطاب برمته"(مُحَمَّد خطابي: لسانيات النص- مدخل إلى انسجام الخطاب، ص5). وحتى يتم التماسك الشديد لأجزاء النص/الخطاب لا بد أن تكون هناك عناصر أو وسائل تكفل ذلك، كأدوات العطف والحذف والاستبدال وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وغيرها.

ويرى عمر أبو خرمة أن دور الاتساق في نشأة النص/الخطاب هو توافر عناصر الالتحاق، وتحقيق الترابط والتماسك من بداية النص إلى نهايته دون إهمال المستويات الأخرى، من أجل تحقيق هذا التماسك، وهذه العناصر هي: الإحالة والاستبدال والحذف والربط وكذا الاتساق المعجمي التي تحدث عنها هاليداي ورقية حسن (ينظر عمر أبو خرمة: نحو النص- نقد نظرية وبناء أخرى،2004، ص ص82،83).

وأما منذر عياشي فيرى أن" المصطلح يشير إلى الأدوات الكلامية التي تسوس العلاقات المتبادلة بين التراكيب أو بين الجمل ولاسيما الاستبدالات التركيبية التي تحافظ على هوية المرجع، ولكنها تحافظ أيضا على التوازي، وعلى التكرار أو على الحشو"(منذر عياشي: العلاماتية وعلم النص،2004، ص132).

ويرى مُحَمَّد شاوش أن الاتساق يلعب دوراً كبيراً في تماسك أجزاء النص/الخطاب بمختلف وسائله الشكلية النحوية والمعجمية، التي تساهم في ربط أواصر النص/الخطاب. والاتساق عنده هو" مجموعة من الإمكانيات المتاحة في اللغة لجعل أجزاء النص متماسكة ببعضها البعض"(مُحَمَّد شاوش: أصول تحليل الخطاب،2001، ص124).

فالاتساق إذاً يُقصد به تلك الأدوات أو الوسائل الشكلية التي يمكن ملاحظتها في ظاهر النص دون إهمال الدور الذي تلعبه هذه ا أدوات من حيث الدلالة والمضمون. وينضوي تحت أدوات الاتساق: الإحالة بأنواعها(الضمائر، أسماء الإشارة، الأسماء الموصولة، أدوات المقارنة، التعريف بأل...)، الاستبدال، الحذف، الوصل(الربط كما يسميه البعض)، الاتساق المعجمي ويضم: التكرار والمصاحبة المعجمية أو التضام (سيأتي الحديث عن هذه الوسائل إن شاء الله).

ثانيا الانسجام:

التعريف اللغوي:

جاء في لسان العرب مادة(س ج م): سَجَمَتِ العين الدمع والسحابة الماء تَسْجُمُهُ سَجْماً وسُجُوماً وسَجْماناً : قطران الدمع وسيلانه قليلا كان أو كثيرا... والعرب تقول: دمع مسجوم، سجمته العين سجماً... وكذا عين سجوم وسحاب سجوم. انسجم الماء والدمع فهو مسجوم إذا انسجم أيْ انصبَّ، وسجمت السحابة مطرها تسجيماً وتسجاماً إذا صبته... وانسجمت السحابة دام مطرها. (ابن منظور: لسان العرب،مادة س ج م، ج7،ص131).

التعريف الاصطلاحي:

إذا كان التعريف اللغوي للفظة الانسجام تعني الانصباب والانسكاب والسيلان، فهذا يعني أن التعريف الاصطلاحي لا يختلف كثيراً عن التعريف اللغوي، لأن الانسكاب والسيلان يؤديان إلى التجميع والكثرة. فإذا أسقطناها على الاصطلاح وجدناها تعني تجميع الدلالات والمعاني في النص/الخطاب مما سيؤدي بالضرورة إلى وحدته الدلالية.

ويقول منذر عياشي إن المصطلح يمثل" تصوير المتصورات التي تنظم العالم النصي بوصفه متتالية تتقدّم نحو نهاية ضمن التتابع والاندماج التدريجي للمعاني حول موضوع الكلام"(منذر عياشي: العلاماتية وعلم النص، ص133).

ويمكن للمحلل أو الباحث الوصول إلى هذا الاندماج التدريجي للمعاني انطلاقا مما يمتلكه من معرفة خلفية إذ عليه أن يحيط بالظروف اللسانية وغير اللسانية، أو يمكن استخلاصه مباشرة من البنية السطحية؛ لأنه علينا أن نعي أن " النص يتألف من عدة عناصر تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية، التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتماسك بين تلك العناصر، وتسهم الروابط التركيبية والروابط الزمانية والروابط الإحالية في تحقيقها... ويعني ذلك أن النص بنية مركبة متماسكة ذات وحدة كلية شاملة"(سعيد حسن بحيري: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة،1999، ص78).

وهذا يعني أن النص/الخطاب إذا تفككت عناصره افتقر حتماً إلى الوحدة الدلالية، إذْ لا يمكن أن نتصور وجود تماسك في ظل توفر الوسائل الشكلية فقط، وأحياناً تكون الأدوات الشكلية قليلة ومع ذلك تتوفر الوحدة الدلالية. ذلك أن التماسك النصي كما يقول أحمد عفيفي يتجلى في" وجود علاقة

بين أجزاء النص أو جمل النص أو فقراته، لفظية أو معنوية، وكلاهما يؤدي دوراً تفسيرياً، لأن هذه العلاقة مفيدة في تفسير النص. فالتماسك النصي هو علاقة معينة بين عنصر في النص وآخر يكون ضرورياً لتفسير النص الذي يحمل مجموعة من الحقائق المتوالية"(أحمد عفيفي: نحو النص...، ص88).وعليه يصبح الاتساق Cohésion جزءاً من الانسجام، لأن الأول العلاقات فيه يغلب عليها الطابع الشكلي، وأما الثاني فيجمع بين الشكلي والدلالي (المعنوي).

ولهذا يطلق البعض على الانسجام التماسك الدلالي Cohérence والمقصود "العلاقات الخطية الموجودة بين المعاني في النص؛ إذْ يُرى ظاهر النص وكأنه خالٍ من رابط يربط بين أجزائه، فإذا بعلاقات الحبك تقوم بهذا الدور ليصبح نصّاً متماسكاً متلاحم الأجزاء، وهذا المعنى يلتقي من كون الحبك هو الشدُّ فعلاقات الحبك تقوم بشدِّ أجزاء النص وربطها سوياً" (نقلا عن عادل مناع: نحو النص...، ص229).

ويظهر أن التماسك الدلالي أو الانسجام قد قُسم إلى قسمين:

1. التماسك الضمني: يؤكد فان دايك Van.Dijk في كتابه علم النص- مدخل متداخل الاختصاصات صفحة307أن علاقات الانسجام غالبا ما تكون ضمنية. وهذا يعني أنه وسيلة من الوسائل التي تساعد على فهم النص من خلال التمثيل الدلالي.
2. التماسك الصريح: وهو الذي يكون مصاحبا للاتساق، بحيث يظهر من خلال الأدوات الشكلية التي تتجلى في ظاهر النص، مع العلم أن الوسائل الشكلية غير كافية وحدها لضمان التماسك النصي، لهذا يساعد الانسجام في فهم النص/الخطاب وتأويله.

ونظراً لأهميته جعله دي بوجراند De.Beaugrande معياره الثاني من المعايير التي تضمن نصية نص ما؛ يقول: "ولهذا كان من الضروري لمن يتواصلون من خلال النصوص أن يصوغوا هذه الوقائع مع وصلها بالوقائع الأخرى، وإلا فهذا الترابط- في الغالب- يصعب التعرف عليه... فالانهيار التام لعملية الاتصال بسبب الالتحام، مثلا يمكن أن يكون عقبة " (دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص118).

ويرى سعد مصلوح أن الاتساق(السبك) يختص برصد الاستمرارية المحققة في ظاهر النص، في حين أن الانسجام (الحبك) يختص بالاستمرارية المحققة في عالم النص، ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي يكمن تجليها في منظومة المفاهيم والعلاقات التي تربط بين هذه المفاهيم. هذان الأمران هو حاصل العمليات الإدراكية المصاحبة للنص إنتاجاً وإيداعاً وتلقياً واستيعاباً (سعد مصلوح: نحو أجرومية النص الشعري- دراسة

في القصيدة الجاهلية، ص154). فالعلاقات الدلالية هي التي توضح كثيراً من العلاقات، وبخاصة على المستوى التركيبي.ولم تكن العلاقات الدلالية غائبة عند اللغويين والنحاة العرب قديما، إذ يشير الزركشي والسيوطي وغيرهما إلى أهمية العلاقات الدلالية الرابطة بين أجزاء النص القرآني؛ وما ارتباط الجمل في هذا النص المعجز إلا دليل على تعلقها ببعضها،كما يعد النحو فيه(في القرآن الكريم) أحد الركائز الأساسية؛ فهو يقوم على أبنية دلالية بالدرجة الأولى.

نصية النص/ الخطاب وآليات التحليل

اقترح كثير من الباحثين آليات لتحليل النصوص والخطابات على اختلاف أنواعها، والوقوف عند المعايير التي تكفل للنص نصيته، وتباروا في ذلك، فجاءت أعمالهم متطابقة في بعض عناصرها ومختلفة في بعضها الآخر. وقد حاول مُحَمَّد خطابي دمج هذه المقترحات في كتابه "لسانيات النص- مدخل إلى انسجام الخطاب" فضم ما تشابه منها إلى بعضه، وانتقى مما اختلف ما رآه مناسبا؛ جامعا في ذلك بين الآراء الغربية والآراء العربية. ونظراً لكثرة المشاريع سنقتصر على بعضها مع إثرائها بآراء أخرى لتعميم الفائدة، ومن هذه المشاريع:

أولاً – مشروعروبرت دي بوجراندودريسلر R.deBeaugrande&W.Dressler

تناول هذا المشروع المعايير النصية التي من خلالها يمكن التمييز بين النص واللانص، حيث يقترح دي بوجراند ودريسلرفي كتابهما: (مقدمة في لسانيات النص،1980) سبعة معايير لجعل النصية أساساً مشروعاً لإيجاد النصوص واستعمالها، واعتبرا هذه المعايير شرطا يمنح النص صفة الاتصالية والنصية.

كما أكد دي بوجراند في كتابه:(النص والخطاب والإجراء) أن النص حدث تواصلي، لذا يلزم لكونه نصا أن تتوفر له سبعة معايير، ويزول عنه الوصف إذا تخلف واحد منها، وهذه المعايير هي:السبك، الحبك، القصد، القبول، الإعلامية، الموقف و التناص.

- **فالسبك**(الربط اللفظي أو الربط النحوي أو الاتساق)(cohésion):

ويضم الإجراءات المستعملة في توفير الترابط بين العناصر في ظاهر النص، وغالباً ما يكون التركيز على أوجه التبعية النحوية، وهو معيار يتصل بالنص.

- **الحبك**(التماسك الدلالي أو الانسجام أو الالتحام أوالاقتران)(cohérence):

وتضم الإجراءات المستعملة في إثارة عناصر المعرفة من مفاهيم وعلاقات، أيْ العلاقات الملحوظة بين المعاني. ويعمل الحبك على الاستمرار المضمون وتشكيل المعنى، وبالتالي فهو نتيجة عمليات إدراكية، ويتصل هذا المعيار بالنص أيضا.

- **القصد أو القصدية**(يحقق عملية الاتصال) :

هو قصد منتج النص/ الخطاب، وهدفه من بناء نص مسبوك ومحبوك.

- **القبول أو المقبولية** (تحقق عملية الاتصال أيضا):

ويُقصد منه مدى قبول المتلقي للنص انطلاقا من كونه نصا متسقا ومنسجما.

- **الإعلامية أو الإخبارية:**

ويتصل بالسياق المادي والثقافي المحيط بالنص، وهذا المعيار هو العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية في مقابل البدائل الممكنة. وكل نص هو إخباري على نحو ما، غير أن مقدار الإخبارية هو الذي يوجه اهتمام المتلقي.

- **الموقف أو سياق الموقف:**

ويشمل العوامل التي تجعل النص ذا صلة بالمواقف الاتصالية. فكل نص يحمل بين طياته رسالة يسعى المرسل إيصالها إلى المتلقي في ظروف معينة.

- **التناص:**

لا شك أن النصوص تتناسل فيما بينها، ويتضمن التناص العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به، وقعت في حدود تجربة سابقة أو متزامنة؛ لأن النص يمثل فضاء واسعا ترتع فيه نصوص أخرى. (ينظر دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص103).

ومع شيء من التأمل، ندرك أنّ عناصر الاتساق والانسجام والإعلامية والتناص علاقتها تكون بالنص، وأما القصد والقبول فعلاقتهما تكون بطرفي الاتصال، أيْ المرسل والمتلقي. في حين نجد الموقف يختص بالسياق الذي يرد فيه النص.

وبالنظر إلى هذه المعايير يتضح أن هذا المشروع من خلاله يمكن التمييز بين النص واللانص، فالنص يجب أن تتوفر فيه وسائل الاتساق وآليات الانسجام، وأن يكون مسرحا لكثير من الممارسات الاجتماعية والسياسية و السيميولوجية وغيرها.

الربط اللفظي عند دي بوجراند ودريسلر:

لكي يحدث الاتساق اقترح الباحثان مجموعة من الوسائل يمكن ملاحظتها في ظاهر النص، وهذه الوسائل هي:

1. التكرار: ويقصد به الإعادة أو الذكر المباشر للكلمات والعبارات والجمل.
2. التكرار الجزئي: وهو استعمال المكونات ا أساسية للكلمة مع نقلها إلى فئة أخرى، أيْ الجذر الصرفي مثل: حكم، يحكم، حاكم، محكوم، محكمة، حكومة...
3. التوازي: وهو تكرار البنية التركيبية نفسها مع ملئها بعناصر جديدة.
4. إعادة الصياغة: ويقصد به تكرار المحتوى بتعبيرات مختلفة عن السابقة.
5. الصيغ الكنائية: وهي استبدال عناصر تحمل مضمونا (أسماء مثلا) بعناصر لا تحمل مضمونا مستقلا أيْ مبهمة (أسماء الإشارة مثلا).
6. الحذف: حذف بعض العناصر في البنية السطحية، كحذف الفاعل أو الخبر أو المبتدأ أو الموصوف...
7. الربط: مثل الفصل والوصل، والتبعية وغيرها. ويضاف إلى هذه العناصر عنصر الزمان والمكان.(ينظر عزة شبل مُحَمَّد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص ص101-102).

وتضاف إلى هذه الوسائل الشكلية علاقات معنوية، يُعتمد فيها في الغالب على ثقافة المحلل وقدرته على استنباط تلك العلاقات، بالإضافة إلى قدرته على التأويل و ملء الفراغات.

ثانياً- مشروع هاليداي ورقية حسن M.A.K.Halliday&R.Hasan

ويرتكز هذا المشروع على مظاهر اتساق النصوص.فالنص عند هاليداي ورقية حسن ليس وحدة نحوية، كما لا يمكن تحديده بطول أو قصر، فهو وحدة لغوية في الاستعمال، وهو لا يتكون من جمل بل يتحقق بها إذا اتسقت، ومن خلال الثنائية التي وضعاها يمكن التمييز بين النص واللانص (ذُكرت تحت عنصر التعريف الاصطلاحي للنص).(ينظر مُحَمَّد خطابي: لسانيات النص، ص12 وما بعدها)

والاتساق عند هذين الباحثين يتكئ على جانب شكلي، يتمثل في العلاقات التي يمكن ملاحظتها في ظاهر النص، وجانب دلالي يقوم على العلاقات المعنوية المتوفرة في النص؛ وهي الوسائل نفسها التي تعمل في الجمل كالوصل والحذف والاستبدال وغيرها. وانطلاقا من ذلك تكون كلُّ متتالية من الجمل

تشكل نصّاً شرط أن ترتبط هذه الجمل بعلاقات نحوية ودلالية، بحيث تتم هذه العلاقات بين عناصر في الجملة السابقة والجملة اللاحقة. فالنص ليس مجموعة جمل فقط فهو كما ذكرنا من قبل وحدة دلالية تتحقق بالجمل المترابطة المتماسكة. وكل نص يكون جديرا بهذه التسمية لا بد أن تتوفر فيه خاصية النصية.

أدوات الاتساق النصي: إن وجود خاصية النصية يعتمد على توفر مجموعة من الوسائل منها:

- **الإحالة** Référence: وهي العلاقة بين الأسماء وما تحيل إليه داخل النص أو خارجه (علاقة دلالية). ويعرفها دي بوجراند بقوله:"إنها العلاقة بين العبارات من جهة، وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات"(دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص172).

وأما الأزهر الزناد فيرى أن العناصر الإحالية تطلق" على قسم من الألفاظ التي لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص؛ وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما، وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر."(الأزهر الزناد: نسيج النص...، ص118).فدلالة الألفاظ التي يحال بها ترتبط أساسا بالنص، أيْ إن العنصر المحال لا بد أن يماثل المحال إليه سواء كان سابقا عليه أو لاحقا به.

والمخطط التالي يوضح أنواع الإحالات عند هاليداي ورقية حسن(مُحَّد خطابي،ص17)

الإحالة:

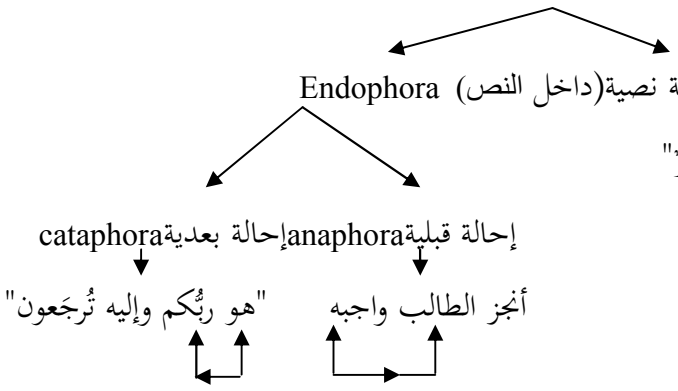

ففي الإحالة المقامية التي تكون خارج النصExophora فإن واو الجماعة وكاف الخطاب عناصر إحالية تعود إلى مذكور خارج النص، إذْ قُصد من الكلام الإغراء والتحذير (من حيث المعنى).

وبالتالي ربط اللغة بالسياق الخارجي. وهذا النوع من الإحالة يتوقف على معرفة سياق الحال أو المواقف، والأحداث التي تحيط بالنص. (ينظر صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ص41).

ويرى فان دايك Van.Dijk أنه توجد سلسلة من أوجه الربط بين النص والسياق التي تندرج ضمن مجال الدلالة (الدلالة السياقية). وهي التعبيرات التي تحيل إلى مكوّنات السياق الاتصالي. وتضم المتكلم والسامع و زمن المنطوق و مكانه...(ينظر فان دايك: علم النص- مدخل متداخل الاختصاصات، ص ص135- 136).

وعليه فالإحالة الخارجية لا تساعد في اتساق النصوص بطريقة مباشرة، ولكنها تسهم في إيجادها وتشكيلها، لأنها تربط اللغة بالسياق.وبالتالي فهي كالسلك الذي يجمع حبات العقد، فإذا انقطع انفلتت حباته،فتكون هناك صعوبة في فهم النص. وقد قسم الباحثان الإحالة إلى إحالة ضميرية وإحالة إشارية، وإحالة موصولة وإحالة مقارنة، وغيرها... نذكر منها:

1. ***الإحالة الضميرية:*** هي التي تكون بضمائر الوجودية (أنا، نحن، أنتَ، أنتِ، أنتما، أنتم، أنتنّ)وضمائر الملكية (الضمائر المتصلة: مثل الكاف في كتابك، والياء في قلمي، والهاء في كراسه أو كراسها...).

والأصل أن يتأخر الضمير و يتقدم المرجع لفظاً ورتبة أو رتبة فقط؛ فإذا قلنا: (كتب الطالبُ درسَهُ) فالهاء في (درسه) تعود على (الطالب) الذي تقدم لفظا وكذلك رتبة لأن الفاعل يسبق المفعول. وفي قوله تعالى:﴿فيومئذٍ لا يُسْألُ عن ذنْبِهِ إنْسٌ ولا جانٌّ﴾الرحمن39.فالهاء في (ذنبه) تعود على الإنس وعلى الجان، فالمحال إليه أو المرجع متأخر لفظا، لكنه في الحقيقة نائب فاعل للفعل(يُسألُ) فمن حيث الرتبة متقدم على (ذنبه). وقد يتقدم لفظه ضمنيا لا صراحة، ونستشف معنى المرجع من لفظ آخر مشترك معه من حيث الاشتقاق كقوله تعالى: ﴿وإنْ قيلَ لكُمُ ارْجِعوا فارْجِعوا هو أزْكى لكُمْ واللهُ بما تعْمَلُونَ عَليمٌ﴾النور28. فالضمير (هو) يعود على الرجوع الذي يُفهم من (ارجعوا).

وقد يتقدم نظير المرجع لا المرجع نفسه، كما في قوله تعالى:﴿إنَّا جَعَلْنَا في أَعْنَاقِهِمُ أغْلالاً فَهِيَ إلى الأَذْقانِ فَهُمْ مُقْمَحونَ﴾يس8. فالضمير (هي) يعود على الأيدي التي تصاحب الأعناق في الأغلال، وذكر الأعناق أغنى عن ذكر الأيدي، أيْ إن القرينة معنوية. وقد تكون القرينة لفظية كما في قوله تعالى:﴿أفَمَنْ كانَ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلوهُ شاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسَى إمامَاً وَرَحْمَةً أولَئِكَ

يُومِنُونَ بِهِ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأحْزابِ فالنَّارُ مَوْعِدُهُ...﴾هود17. فالهاء في (يتلوه) و(به)و(به) تعود على القرآن الكريم والقرينة لفظية هي(بينة).

وقد يتأخر المرجع لفظا ورتبة في مواضع كثيرة منها على سبيل الذكر لا الحصر: في ضمير الشأن، في فاعل نِعْمَ و بِئْسَ إذا كان مفسرا بتمييز، في الضمير المتصل بالفاعل العائد على المفعول، في مجرور(رُبَّ) المفسر بتمييز قطعا[" قُلْ هو اللهُ أحَد"، نِعْمَ خُلُقاً الكرمُ، نادى ربُّهُ موسى، رُبَّهُ طالِباً] وغيرها...

2. ***الإحالة الإشارية:*** هي عدة أشكال منها: الظرفية الزمانية (الآن، غداً...)، والظرفية المكانية (هنا، هناك...)، والإشارة للقريب(هذا، هذه...)، والإشارة للبعيد(ذاك، تلك...)، وفي الانجليزية صنف يفيد الحياد (the).

ويمكن لاسم الإشارة المفرد أن يحيل إلى جملة، أو إلى متتاليات من الجمل كاملة؛ ففي قوله تعالى:﴿وكذلِكَ نُري إبْراهيمَ مَلَكُوتَ السَّمواتِ وَالأرْضِ وَلِيَكونَ مِنَ المُوقِنينَ﴾الأنعام75. فاسم الإشارة ربط بين ما رآه إبراهيم عليه السلام من ضلالة قومه في عبادة الأصنام، وبين رؤيته لملكوت السموات والأرض. والمعنى كما يقول الرازي:" ومثل ما أريناه من قبح عبادة الأصنام نريه ملكوت السموات والأرض، وهنا حقيقة عقلية، وهي أن نور جلال الله تعالى لائح غير منقطع و لا زائل البتة."(الرازي:التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، ج13، ص44).

وفي قوله تعالى:﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إلـهَ إلاَّ هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾الأنعام102. فقد ذكر الزمخشري أن اسم الإشارة (ذلكم) إشارة إلى الموصوف(الله) بما تقدم من صفات.(ينظر الكشاف، ج2، ص41).وبالتالي فإن اسم الإشارة كما يحيل إلى مفرد قد يحيل إلى سلسلة من الكلمات أو سلسلة من الجمل. وأن الضمائر وأسماء الإشارة تحيل إلى سابق كما تحيل إلى لاحق.

3. ***الإحالة المقارنة:*** "هي نوع من الإحالة يتم باستعمال عناصر عامة مثل التطابق والتشابه والاختلاف، أو عناصر خاصة مثل الكمية والكيفية، فهي من منظور الاتساق لا تختلف عن الضمائر و أسماء الإشارة في كونها نصية "(مصطفى النحاس: نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص72).

فمن الكمية قوله تعالى:﴿وما آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَليلٌ﴾هود40. فكلمة قليل تدل على الكمية، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ اِبْتِغاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتُ اكْلَهَا ضِعْفَيْنِ...﴾البقرة265. نجد التشابه بين (الذين ... كمثل).

وباختصار فإن التشابه توظف فيه الألفاظ(متشابه، يشبه، مثل، كأنَّ، الكاف...)، وفي التطابق نجد(نحو، بالمثل...)، وأما الاختلاف فتوظف فيه العناصر(مع أن، على الرغم، مع هذا...)

4. ***الإحالة الموصولة***: المعروف أن الأسماء الموصولة مبهمة معرفة بصلتها، تلعب دورا هاما في اتساق النصوص؛ ففي قوله تعالى:﴿أَلاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾هود5. فالاسم الموصول(ما) ربط بين(يعلم) و(يسرون، يعلنون).

وفي قوله تعالى:﴿وَقَالَ الَّذي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾يوسف21. فالذي ربط بين جملة (قال) وصلة الموصول(اشتراه من مصر) وجملة مقول القول(أكرمي مثواه). والإحالات كثيرة يطول ذكرها وشرحها، لذا اقتصرتُ على أهمها.

❖ **الاستبدال*Substitution***: يقصد به تعويض كلمة بكلمة أخرى، أو جملة بكلمة أو قول بكلمة. وهو "وسيلة أساسية تعتمد في اتساق النص؛ بل مصدراً أساسيا من مصادر اتساق النصوص"(محمد خطابي: لسانيات النص، ص19).ويعمل الاستبدال على اختصار الكلام كما يغني عن إعادة المعلومات التي سبق ذكرها، فلو وقفت أمام دكان بائع الزهور وقلت: ما أجمل هذه الورود البيضاء!. فيرد عليك البائع: هل تريد واحدة ؟. فقد استبدل البائع عبارة (الورود البيضاء) بكلمة (واحدة).

و يقسم هاليداي ورقية حسن الاستبدال على أساس الوظيفة النحوية للعنصر المستَبدَل إلى ثلاثة أقسام:

1. **استبدال اسمي**: يعبر عنه بالعناصر(واحد (ة)، نفس، ذات، آخر...) مثال: محفظتي لم تعد صالحة للاستعمال، عليَّ أن اشتري أخرى(أو واحدة)، فكلمة (أخرى أو واحدة) عوّضت (محفظة). وكقولنا: أتحبُّ صعودَ الجبال؟ فتقول: نعمْ، أُحِبُّ تسلُّقَ الجبالِ، حيث استبدلت كلمة (صعود) بكلمة (تسلق).

2. **استبدال فعلي**: حيث يستبدل فعل بفعل آخر يسمى بالفعل البديل، وقد يعوض هذا الفعل عبارة كاملة كقولنا: هل يُنْجزُ الطالبُ واجبَهُ في الوقت المحدد؟ فيُقال: سيفعلُ. (سيفعل)عوضت جملة كاملة.

3. **استبدال جملي**: حيث تستبدل جملة بالعنصر(هذا، ذلك..) كأن تقول لزميلك: هَلْ سَيَنْزِلُ المطَرُ؟ فيد عليك – وقد رأى السماء تلبَّدتْ بالغيوم- أعتقدُ ذلك. وقولك: غابَ الأستاذُ، هي قالتْ هذا. والملاحظ أن" الاستبدال يعتمد على أن شيئاً قيل من قبل"(إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص- تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند ولفجانج دريسلر)، 1999،ص101). وتعد العلاقات الاستبدالية علاقات قبلية أيْ إنّ العنصر المستبدَل يكون سابقاً عن العنصر البديل، ونادراً ما تكون العلاقة بعدية.

❖ **الحذف*Ellipse***: يقول عبد القاهر الجرجاني:" فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما يكون وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن." (دلائل الإعجاز، ص131). فعبد القاهر الجرجاني يرى أن المتكلم أو الكاتب حين يحذف يكون كلامه أبلغ من الإفصاح، لأنه إذا لم يحذف قد يقع في التكرار أو الابتذال.

لهذا عُدَّ الحذف أحد أهم وسائل الاتساق النصي. وقد اعتبره روبرت دي بوجراند اكتفاء بالمعنى العدمي(يُنظر: النص والخطاب والإجراء، ص340) وهو استبدال بالصفر كما يرى البعض.

فالحذف هو "استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن، أو أن يوسع، أو أن يعدل بواسطة العبارات السابقة." (دي بوجراند: ص301)،أي إنه حذف عنصر معجمي لدلالة السياق عليه، ويقع في الكلمة كما يقع في الجملة، ويكون بدلا من تكرارها. وهذا يعني أن المرسل يلجأ إلى الحذف تجنبا للتكرار، أو لضرورة ما كالضرورات الشعرية، أو لأغراض بلاغية معينة؛ ثم إن المرسل لا يحذف لمجرد الحذف، وإنما يحدث ذلك تبعا لشروط. إذْ لا بد أن تتوفر المرجعية، أيْ وجود ما يدل على العنصر المحذوف من قرائن لفظية أو معنوية أو سياقية.

أ- .أنواع الحذف :

مما لا شك فيه أن الحذف لا يكون في صورة واحدة فهو أنواع، يقول ابن جني:" ... قد حذفت العرب الجملة، والمفرد والحرف والحركة وليس شيء من ذلك إلاَّ عن دليل عليه، وإلاَّ كان فيه ضرب من

تكليف علم الغيب في معرفته."(ابن جني: الخصائص، ج2، ص243). وبهذا يكون الحذف في الصيغ الصرفية و الأصوات كحذف حروف العلة وهمزة الوصل والحركات؛ أو يكون الحذف في التراكيب و منه:

1. **الحذف الاسميّ**: فقد يحذف المبتدأ أو الخبر أو الفاعل... ففي قوله تعالى: ﴿الر كتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ﴾هود1. نجد (كتابٌ) خبر لمبتدأ محذوف والتقدير (هو كتاب).
2. **الحذف الفعلي**: يحذف الفعل بمفرده كما قد يحذف مع مضمره (إذا حذف الفعل مع فاعله المضمر كان جملة) وأما حذف الفعل فيظهر في قول الشابي: إذا الشعبُ يوماً أراد الحياة..... (الشعبُ) فاعل لفعل محذوف فسره المذكور والتقدير (إذا أراد الشعب أراد الحياة) تجنبا للتكرار حذف الأول لدلالة الثاني عليه.
3. **الحذف الحرفي**: كحذف حروف العطف أو واو الحال أو الفاء الواقعة في الجواب أو حروف النداء... كقول علي محمود طه: أخي جاوز الظالمون المدى، والتقدير: يا أخي. وقولنا: هذا يوم مشمسٌ جميلٌ، حيث حذف حرف العطف(الواو) والتقدير مشمس وجميل.
4. **الحذف التركيبي**: كالحذف الجملي في قوله تعالى: ﴿رجالٌ لا تُلْهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عنْ ذكْرِ اللهِ﴾والتقدير(ولا يلهيهم بيع) وقوله تعالى: ﴿فاسْتَقِمْ كما أُمِرْتَ و مَنْ تابَ معكَ﴾(والتقدير وليستقمْ من تاب معك). وكذلك الحذف على الاختصاص كقولنا: نحن– المتعلمين – ننير دروب الحياة. والتقدير: نحن أعني المتعلمين...

ب– دور السياق في الحذف النصي:

يلعب السياق دوراً هاماً في خلق وإبداع النص، ويفرض على المرسل كاتباً كان أو متكلماً اللجوء إلى الحذف لأغراض جمة كالاختصار أو شدّ الانتباه أو التضرع إلى الله أو التعجب وغيرها؛ ففي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ﴾آل عمران8. حذف حرف النداء لأن المقام مقام تضرع، والتقدير(يا ربنا...). وموقف شدِّ الانتباه قولنا: بُنَيَّ: لا تُهْمِلْ واجبَكَ. و يكون حذف الأداة أبلغ من الذكر في مقامَيْ التضرع والتعجب عند قولنا(الله) عوض(يا الله)؛ كما يحذف الضمير لدلالة السياق عليه مثل قوله تعالى: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولاً﴾الفرقان41. فالسياق يدل على أن المقصود بالحديث هو الرسول مُحَمَّد ﷺ لا غيره، ومما

لاشك فيه أ ن الله تعالى قد بعثه نبيا ورسولا، فحذف الضمير العائد في(بعث) والتقدير(بعثه). و مثل ذلك حذف ياء المتكلم في(يا قَوْمِ) والتقدير (يا قومي)، والياء في: اقْضِ ما أنتَ قَاضٍ(قاضي).

ج- بين الحذف والإحالة:

من المسلم به أن شرط الحذف هو العلم بالمحذوف، وهذا الشرط هو الأساس الذي ترتكز عليه ظاهرة الحذف، وذلك عن طريق القرينة والدليل وهذه القرينة هي بمثابة الإحالة والمرجع، إلا أنها تعتمد على سياق الحال الذي يزودنا بالمعلومات التي تساعدنا في تفسير النص. وهذا يعني أن الحذف وإن لم يترك أثرا في حدِّ ذاته إلا أنه لا يجتثُّ العبارة من النص بل لا بد وأن يوجد في النص ما يشير إلى أن هناك شيئا محذوفا هو الذي أُطلق عليه المرجع أو القرينة.

د- كيف يحقق الحذف اتساق النص؟

يتحقق الاتساق النصي بالحذف من خلال بحث المتلقي عن العلاقة بين المذكور والمحذوف بهدف ملء الفراغ الذي أحدثه الحذف؛ فيلجأ المتلقي إلى التكرار المباشر أو إلى المعنى بالاستناد إلى المرجع سابق أو لاحق، وبهذه المرجعية يكون الربط بين أجزاء النص. والملاحظ أن للحذف دورا هاما في تفسير القرآن الكريم، وقد أطلق عليه السيوطي مصطلح (الاحتباك)وإن كان في الحقيقة الاحتباك هو نوع من الحذف.

وذكر ما قاله حازم القرطاجني عندما تحدث عن الحذف " إنما يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه أو يقصد به تعديد أشياء فيكون في تعدادها طول وسآمة فيحذف ويكتفي بدلالة الحال وترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها ولهذا القصد يؤثر في مواضع التي يراد بها التعجب والتهويل، ومنه قوله تعالى في وصف أهل الجنة ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ فحذف الجواب جعل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه وترك النفوس تقدرها ما شاءته ولا تبلغ مع ذلك كنه ما هنالك."(ينظر السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج1،ص23). كما ذكره الزركشي والقرطبي والطاهر بن عاشور والبقاعي والألوسي وعلي الجرجاني وغيرهم.

❖ **الوصل*Conjonction***: يعد الوصل من أهم الوسائل النحوية والمعجمية التي تساعد على ترابط النصوص على المستوى التركيبي بصورة واضحة. و بما أن النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطيا ولكي يدرك كوحدة متماسكة لا بدَّ أن تتوفر عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزائه.(محمد

خطابي: لسانيات النص،ص23).هذه العناصر الرابطة لها دلالاتها التي تتصل بالسياق، وتوظف تبعاً للعلاقات القائمة بين الجمل لأنها" علامات على أنواع العلاقات القائمة بين الجمل، و بها تتماسك وتبين مفاصل النظام الذي يقوم عليه النص، ويرتبط استعمالها بطبيعة النص من حيث موضوعه و أشكاله."(الأزهر الزناد: نسيج النص، ص37).وهذا يعني أن هذه الأدوات لها ارتباط قوي ببنية النص الدلالية كما لها ارتباط بترابطه الشكلي.

وقد حظي الوصل باهتمام البلاغيين والنحاة، وارتبط الكلام عنه بالفصل، حتى قال أحد البلاغيين لما سُئِل عن البلاغة:" هي **معرفة الوصل من الفصل**"، وكان عبد القاهر الجرجاني قد أفرد بابا لهما في كتابه دلائل الإعجاز قال فيه:" اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد ا أخرى..."(عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص252).

فمعظم علماء العرب قديما قد اقتصرت معالجتهم للوصل على العطف وأهملوا الوسائل الأخرى التي سماها صبحي إبراهيم الفقي (الأنماط الرابطة) وهي غير مدرجة ضمن باب العطف منها: أيضاً، على أنَّ، بناءً على هذا، فضلاً عن ذلك وغيرها.(ينظر الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1،ص243 وما بعدها). فالوصل إذاً لا يكون بحروف العطف فقط، وإنما يكون بوسائل أخرى مثل (إنَّ) التي قال عنها عبد القاهر الجرجاني:" اعلم أن من شأن (إنَّ) أن تُغني غناء الفاء العاطفة، وان تُفيد من ربط الجمل بما قبلها أمراً عجيباً، فأنت ترى الكلام بها مُسْتَأْنَفاً غير مُسْتَأْنَفٍ، ومقطوعاً موصولاً معاً "(عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز،ص213).وهكذا يمكن أن ندرج ضمن الوصل بالإضافة إلى العطف كل الوسائل الظاهرة التي تساعد على الربط بين أجزاء الجملة أو الفقرات.

أنواع الوصل: قسم براون و يول الوصل إلى أربعة أقسام هي:

1. **الوصل الإضافي**: وسماه براون و يول العطف، ويكون بالواو، الفاء، أو، ذلك، كذلك، أي، أعني، أيضا وغيرها. فلو أخذنا الواو مثلا قد تكون عاطفة أيْ للجمع بين المعطوف والمعطوف عليه كقوله تعالى:﴿لمْ يلِدْ وَ لمْ يولَدْ﴾الإخلاص 3، أو تكون واو الحال فتربط بين الحال وصاحبه، وقد تكون الواو حرف استئناف وهي التي تكون في بداية الكلام كقوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ

المرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلَ اَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾القصص12. (الواو الثانية واو الحال)

2. **الوصل العكسي**: ويسمى الربط الاستدراكي، يربط على سبيل السلب بين صورتين من صور المعلومات بينهما علاقة تعارض(ينظر النص والخطاب والإجراء، ص346). وسماه براون و يول المقابلة، ويكون بلكنْ، إلاَّ أنَّ، ومع ذلك... كقولنا: حضر الطلاب إلا أن الأستاذ لم يأْتِ، فإلا أن ربطت جملة(حضر الطلاب) بجملة(الأستاذ لم يأتِ) حيث كانت الجملة الأولى مثبتة والثانية منفية، وقد يكون العكس كقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلكنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾هود101.

3. **الوصل السببي** : و هو "ذلك الربط الذي يعتمد نوع العلاقة في الجمع بين العنصرين المتتابعين، وهذه العلاقة أساسها السببية"(الأزهر الزناد: نسيج النص، ص48). وذلك كالعلاقة بين الشرط وجوابه أو القسم وجوابه أو السبب والنتيجة، وتكون أدواته غالبا فاء السببية، لام التعليل، كي، من أجل هذا، لهذا وغيرها. فمثلا فاء السببية كقوله تعالى:﴿ولا تَرْكَنُوا إلى الَّذين ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾هود113، أيْ تمسكم النار بسبب ركونكم إلى الذين ظلموا. ومن علاقة الشرط بالجواب قوله تعالى:﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِي للهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾آل عمران 20.

4. **الوصل الزمني**: وسائله كثيرة منها ثمَّ، بعد ذلك، أخيراً، في آخر المطاف، قبل، بعد، بينما وغيرها، كقوله تعالى: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَ يُوتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾هود3، فالاستغفار يكون أولا ثم تتلوه التوبة النصوح. وكقولنا: انتظرنا طويلا وأخيراً جاء المسؤول، فزمن الانتظار الطويل أعقبه مجيء المسؤول. (للاستزادة ينظر براون ويول: تحليل الخطاب، ص229). إن وظيفة الربط هي تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة متماسكة، فإنه لا محالة يعتبر علاقة اتساق في النص(مُحَّد خطابي: لسانيات النص، ص24).

وما تجدر الإشارة إليه أن هذه الوسائل وإن كانت في ظاهر النص إلا أن العلاقة فيها لا تكون علاقة شكلية بل تتجاوزها إلى علاقات دلالية، لأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال فصل الجانب الدلالي على الجانب النحوي.

❖ **الاتساق المعجمي *Cohésion.lexicale*:**

يعد الاتساق المعجمي من بين وسائل الربط النحوي المهمة، و"يتحقق من خلال اختيار المفردات عن طريق إحالة عنصر إلى عنصر آخر فيحدث الربط بواسطة استمرارية المعنى بما يعطي النص صفة النصية، حيث تتحرك العناصر المعجمية على نحو منتظم في اتجاه بناء الفكرة الأساسية للنص وتكوينه، كما تقوم على نحو متكرر معلومات تتصل بتفسير العناصر المعجمية الأخرى المرتبطة بها، مما يسهم في الفهم المتواصل للنص عند سماعه أو قراءته."(عزة شبل مُحَمَّد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص105).

فمن خلال تلك العلاقات المعجمية يتحقق الاتساق المعجمي، حيث تنشأ بين المفردات علاقات يتحقق معها الترابط بين أجزاء البنية النصية؛ وعلى الرغم من أن طريقة الاتساق المعجمي" فعالة في تبصيرنا بشبكة العلاقات بين العناصر المعجمية وبطريقة اتساقها، فإنها لا تخلو من عيوب كما يرى بعض الباحثين."(مُحَمَّد خطابي: لسانيات النص، ص249) أيْ إن العلاقة المعجمية إذا لم يستغل توظيفها توظيفاً جيداً فإنها تكون نقمة على النص المكتوب والمنطوق على حدٍّ سواء. ففعاليتها مرهونة بمدى قدرة المرسل وتحكمه في استخدام تلك العناصر المعجمية وضبط علاقاتها، لأن" كل خطاب هو بنية عناصرها: أصوات + معجم + تركيب + معنى + تداول"(مُحَمَّد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري- إستراتيجية التناص، ص59).

بالإضافة إلى وسائل الاتساق التي سبق ذكر بعضها فإن الاتساق المعجمي يقوم بدور هام في ترابط أجزاء النصوص، إذا أُحسن استغلالها لأن الكلمات في النص/ الخطاب ليست مقصودة لذاتها، وإنما تكون مزيتها في تفاعلها مع أخواتها، وما تحيل إليه في السياق؛ أيْ النظر إلى مدى تعالق المفردات سواء عن طريق الترابط أو عن طريق التداعي كما يؤكد مُحَمَّد مفتاح في كتابه(دينامية النص). ويرى هاليداي و رقية حسن أن الاتساق المعجمي يتحقق في النص/ الخطاب من خلال وسيلتين هما:

1. ***التكرار Réitération*:**

ويكون-كما يقول مُحَمَّد خطابي نقلا عن الباحثين في كتابهما (الاتساق في الانجليزية1976)- بإعادة العنصر المعجمي نفسه أو مرادفه أو شبه مرادفه، كما يكون عنصراً مطلقاً أو اسماً عاماً

(مجموعة من الأسماء لها إحالة معممة كاسم الإنسان، أو اسم المكان وما يشبههما مثل: الناس، شخص، رجل، طفل، امرأة، ولد، بنت...) (محمد خطابي:لسانيات النص، ص ص24- 25).

ويعرف التكرار عند علماء العرب بالتوكيدين (اللفظي والمعنوي)، كما نجده كعنصر ربط في جملة الخبر الاسمية والفعلية؛ إذْ لا بد أن تشتمل جملة الخبر على رابط يربطها بالمبتدأ ويكون هذا الرابط بإعادة لفظ المبتدأ أو مرادفه... وهكذا يكون التكرار وسيلة من وسائل الربط يحدث على المستوى المعجمي لكن تأثيره يتجاوز إلى المستوى الدلالي.

ويميز دي بوجراند و دريسلر de Beaugrande & Dresslerبين نوعين من التكرار:

- ✓ التكرار المباشر: وهو تكرار لفظي أيْ تكرار العناصر اللغوية بألفاظها.
- ✓ التكرار غير المباشر: وهو تكرار بالمعنى أو التكرار الجزئي، أيْ يحدث دون إعادة العنصر نفسه وهو الذي سماه الزركشي (الترادف). (ينظر صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي...، ج2، ص21). وتجدر الإشارة هنا إلى أن التكرار على اختلاف أنواعه يتجلى في الخطاب المنطوق أكثر من تجليه النص المكتوب. ويوضح هاليداي و رقية حسن التكرار بالمثال التالي:

شرعت في الصعود إلى القمة { الصعود / التسلق / الشيء / هو } العمل سهل للغاية

فكلمة(الصعود) الثانية تكرار لفظي للفظة المعجمية الصعود التي ذُكرت من قبل(شرعت في الصعود إلى القمة)، وكلمة (التسلق) مرادفة لكلمة(الصعود)، وأما لفظة(العمل) فاسم عام يدرج فيه الصعود والتسلق. وكلمة(شيء) هي كلمة عامة يمكن أن يدرج ضمنها الصعود والتسلق والعمل، والضمير (هو) عنصر إيحالي يعود على الصعود ويمكن أن يحل محله. وبهذا نقول إن التكرار يمكن أن يؤدى بطرائق وأشكال متعددة، وهو ما يؤدي إلى اتساق النص/ الخطاب.(ينظر محمد خطابي: ص24 وما بعدها).

كما يعد التكرار على اختلاف أشكاله ضرب من الإحالة القبلية لأن العنصر المكرر يكون سابقاً، وقد أطلق عليه بعض الباحثين اسم الإحالة التكرارية. ويرى جميل عبد المجيد في مقال له بعنوان (علم النص) أن التكرار ينقسم إلى:

1. تكرار تام أو محض: ويكون بتكرار اللفظ والمعنى لمرجع واحد، ويحقق هذا النوع من التكرار أهدافاً تركيبية ومعنوية.
2. تكرار جزئي: ويكون باستخدام الجذر اللغوي (الصرفي) استخدامات مختلفة حيث تشتق من الجذر نفسه كلمات توظف حسب السياق.
3. تكرار المعنى: ويكون بلفظ مختلف، ويشمل الترادف وشبه الترادف المساوي في المعنى لعبارة أخرى.
4. التوازي: ويقصد به تكرار البنية النحوية مع ملئها بعناصر جديدة مختلفة.(خليل بن ياسر البطاشي: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب،ص66 وما بعدها).

أشكال التكرار: يكثر التكرار ويتجلى بصورة واضحة جلية في القصيدة العربية الحديثة، حيث ساعدت هذه الظاهرة في إبراز الإيقاع الداخلي والخارجي مما يشعر السامع بالتوافق والانسجام. ويأتي التكرار على أشكال كثيرة منها:

1. التكرار الاستهلاكي: ويقصد به الوقوف عند حالة لغوية معينة مع توكيدها عدة مرات، ويكون هذا التكرار بصيغ مختلفة مع مراعاة الجانب الموسيقي والدلالي.
2. التكرار الختامي: يعمل هذا النوع من التكرار على التكثيف الدلالي والإيقاعي الذي يتجلى في خاتمة القصيدة.
3. التكرار المتدرج الهرمي: يخضع هذا النوع من التكرار إلى هندسة محكمة تنبع من طبيعة التجربة الشعرية، وما تفرضه من صيغة تكرارية تتلاءم وخصوصية القصيدة.
4. التكرار الدائري: يتمثل في تكرار جملة شعرية ما أكثر من مرة بين مقدمة القصيدة وخاتمتها.
5. تكرار اللازمة: يشبه إلى حدٍّ ما التكرار الدائري، إلا أنه يقوم على انتخاب سطر شعري أو جملة شعرية يرى الشاعر أن هذا السطر أو الجملة يشكل محورا أساسيا هو بمثابة قطب الرحى في القصيدة، ويرتكز على المستويين الإيقاعي و الدلالي. وتتكرر هذه اللازمة بين الفينة والأخرى.
6. التكرار التراكمي: وهو تكرار مجموعة من الألفاظ بطريقة غير منتظمة سواء على مستوى الحروف أو الأفعال أو الأسماء دون أن يخضع إلى قاعدة معينة ما عدا قاعدة الموسيقى والدلالة

(ينظر مُحَمَّد صابر عبيد: القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، ص204 وما بعدها).

وقد أدرك علماء العرب قديماً وحديثاً أهمية التكرار ودوره في ترابط وتماسك النصوص وبخاصة النص القرآني فرصد تمام حسان فوائده في:

- إنعاش الذاكرة
- أمن اللبس وتكثيف الدلالة داخل النص
- التوكيد
- التعظيم والتهويل
- زيادة التنبيه
- التقرير.

(ينظر. تمام حسان:البيان في روائع القرآن... ،ج1، 2002،ص132، وما بعدها).

لكن يؤدي التكرار هذه الفوائد وغيرها إذا صحَّ توظيفه وحسُن استغلاله، وإلا كان نقمة على النص وعلى المشاركين في عملية التواصل(كما قلنا)؛ إذ يرى الجاحظ أن نجاح التكرار وبلوغ المرسل مآربه يتوقف على الإحاطة بدرجة ذكاء المتلقي من جهة وعلى علمه من جهة أخرى. ويذكر أنَّ ابن السماك كان يتكلم يوما في مجلس وجارية له تسمع، فلما انصرف إليها سألها: كيف سمعتِ كلامي؟ قالت: ما أحسنه لولا أنك تكثر ترداده! قال: أردده حتى يفهمه من لم يفهمه. قالت: إلى أن يفهمه من لا يفهمه ملَّهُ من فهمه.(الجاحظ: البيان والتبيين،ج1،ص104) إذاً قد يؤدي التكرار إلى السآمة والملل، وإلى عدم بلوغ المرسل مآربه، وبهذا فهو سلاح ذو حدين.

2. *التضام أو المصاحبة المعجمية Collocation*

ويقصد به توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطهما بحكم هذه العلاقة فمثلا ذكر كلمة (نحل) تستدعي بالضرورة استحضار كلمة(عسل) وذكر كلمة(مركب) يستحضر (شراع،بحر،أمواج...)، هذه العلاقة سماها مُحَمَّد خطابي (التلازم الذكري).(ينظر مُحَمَّد خطابي،ص25)إلا أن هذه العلاقة تفتقر إلى وجود مرجعية سابقة أو لاحقة، فالاعتماد فيها يتكئ على الرصيد المعرفي والمخزون الفكري الذي يمتلكه المتلقي.

والتضام (المصاحبة المعجمية) علاقاته كثيرة منها: التضاد، علاقة الجزء بالكل وعلاقة الجزء بالجزء وعلاقة التلازم الذكري وغيرها. وقد صنفها هاليداي و رقية حسن إلى:

أ. علاقة تباين: ولهذه العلاقة درجات، فقد تكون الكلمتان:

- متضادتين تضادا كاملا مثل: ولد/ بنت، وكقوله تعالى:﴿مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَّكَّرُونَ﴾هود24. وهذا التضاد سماه البلاغيون العرب الطباق إذْ نجد الأعمى≠ البصير، الأصم ≠ السميع.
- متخالفين أو متناقضين مثل: أحب/ أكره وهو تضاد نسبي ككلمة السر والنجوى.
- متعاكسين مثل: أمر/ أطاع، وكقوله تعالى: ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ اقْلِعِي﴾هود44.

ب. علاقة الدخول في سلسلة مرتبة مثل: الأحد، الاثنين، الثلاثاء... و أصيل، مغرب، ليل، سحر، فجر، شروق...

ج. علاقة الكل بالجزء مثل: سيارة/ فرامل، وفي قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ فالآيات جزء من الكتاب(القرآن).

د. علاقة الجزء بالجزء مثل: الفم/ الذقن، هما جزءان من الكل وهو الوجه، السبابة/ الخنصر: أصبعان في اليد...

هـ. علاقة الاندراج في الصنف العام مثل: كرسي/ طاولة إذْ تشملهما كلمة أثاث. (ينظر عادل مناع: نحو النص-اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية، ص216 وما بعدها). إن هذه العلاقات وغيرها إذا حسُن استغلالها من طرف المنتج تساعد في اتساق النصوص، حيث تتعدد المعاني بتعدد السياقات والوظائف.

مشروع فان دايك *Teuna Van Dijk*

اهتم فان دايك في كتابه(النص والسياق1977)بتحليل النصوص رابطا بين الأبعاد الدلالية والتداولية لأن النص لا يمكن تحديده انطلاقا من المستوى التركيبي فقط، وبالتالي لا بد أن يؤخذ السياق بعين الاعتبار؛ففي نظر فان دايك فإن اللفظة قد يختلف معناها في السياق عن معناها المعجمي.(ينظر عمر أبو خرمة: نحو النص- نقد نظرية وبناء أخرى،ص85). فمعرفة العالم الذي يحيط بالنص هو الذي يشكل معناه ما دامت الألفاظ تتحدد معانيها من السياق، وبالتالي فالسياق يساعد على انسجام النص.

ويرى فان دايك أن النص حتى يكون منسجما لا بد أن تتوفر فيه خاصية الترابط وهو خاصية دلالية بالدرجة الأولى، ويستدل على الربط "بواسطة ضروب الجمل من مختلف مقولاته وأبوابه كالأسماء والأفعال والصفات (نعوت) كما يُعبَّر عنه بالجمل الأصلية والفرعية... ويستحسن أن يركز الانتباه على الروابط المأخوذة من وصل التشريك(العطف) ومن باب الظروف."(فان دايك: النص والسياق- استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي،ص83).فالربط عند الباحث لا يقوم على العلاقات الشكلية فقط وإنما يرتكز أكثر ما يرتكز على علاقات دلالية وتداولية؛ ويرى أن الترتيب الطبيعي للوقائع يلعب دوراً هاماً في انسجام النص/ الخطاب، وهذا الترتيب مرهون بعلاقات هي:

عام- خاص كل-

جزء/مركب

مجموعة- فئة- عنصر

المتضمِّن- المتضمَّن

كبير- صغير

خارج- داخل

المالك- المملوك.(النص والسياق،ص154)

وحسب رأي فان دايك فإن لكل نص/ خطاب موضوع وبنية كلية ترتبط بها البنيات الصغرى للنص وتمثل أجزاء الخطاب، وبإمكان المتلقي الوصول إلى البنية الكلية أو الكبرى بعد قيامه بعملية

الاختزال، ويتم ذلك في أجزاء النص/ الخطاب. إن هذه البنية ليست معطاة لكن توجد مؤشرات تشير إليها، ويلعب الموضوع دور المرشد أليها، وهذا ما يبين" الربط الوثيق بين المعنى ووظيفة التفاعل اللغوي؛ إذ إن النص والسياق يعتمد كل منهما على الآخر"(فان دايك:علم النص- مدخل متداخل الاختصاصات،ص156)فالسياق يحدد المقال، والمقال يُفهم من خلال هذا السياق.

مشروع براون و يول *G.Brown & Yule*

حاول الباحثان بيان دور المتلقي في انسجام النص من خلال مشروعهما الذي تضمنه كتابهما تحليل الخطاب (1983)؛ بينا فيه أن الخطاب هو كلٌّ وحدة لغوية أكبر من الجملة. وذكرا في مقدمة كتابهما أن المقاربة التي نهجاها في تحليل الخطاب هي مقاربة لسانية بالدرجة الأولى، أيْ معالجة كيفية استعمال الناس للغة على اعتبار أنها أهم أداة للتواصل، وكيفية تأليف المتكلم لرسائله اللغوية وتوجيهها إلى المتلقي، ثمَّ كيفية معالجة المتلقي لهذه الرسائل وتفسيرها.(ينظر براون ويول: تحليل الخطاب، ص ي(المقدمة)).

كما استعانا في تحليل الخطاب باللسانيات الاجتماعية واللسانيات النفسية والذكاء الاصطناعي. وقد انطلقا من مسلمة مفادها أن المرسل والمتلقي يحتلان لب عملية التواصل، ثم إن فهم الخطاب يتوقف على وضعه في سياقه التواصلي(من حيث الزمان والمكان والأطراف المشاركة في الحديث لأنهم يمتلكون السلطة اللغوية...) وانطلاقا من ذلك فمعالجة الخطاب عندهما تنصب على" الكلمات وأشباه الجمل والجمل التي تظهر في المدونة النصية لخطاب ما بوصفها أدلة على محاولة من باث النص(كاتبا كان أم متكلما) لإيصال رسالته إلى المتلقي(سامعا كان أم قارئا)... ومناقشة الكيفية التي يمكن بها لمتلقٍّ معين أن يفهم الرسالة التي يقصدها الباث في مناسبة معينة، وكيف تؤثر شروط متلقٍّ معين (أو متلقين) في ظروف محدودة على تنظيم الباث لخطابه."(براون ويول: تحليل الخطاب، ص30).

فإذا كان معظم الباحثين يرون أن النص/ الخطاب يحمل بين طياته وسائل وآليات اتساقه وانسجامه، وأن مهمة المحلل هي اكتشاف هذه الأدوات واستخراجها؛ فإن براون ويول يرفضان هذا الطرح، ذلك أن النص/ الخطاب عندهما يستمد اتساقه وانسجامه من تأويل وفهم المتلقي لهذا النص/ الخطاب، وهذا ما يفسر بوضوح وضعهما للمرسل والمتلقي في قلب العملية التواصلية. فلا يمكن بأيّ حال من الأحوال التغاضي عن أطراف التواصل؛ أيْ إن المتلقي هو الذي يمكنه الحكم على النص/ الخطاب إذا كان متسقا و منسجما أو عكس ذلك. ومن هنا جاء تركيز الباحثين على عمليتي الفهم والتأويل.

ولتوضيح ذلك عززا بحثهما بنصوص غنية بالروابط ولكنها غير منسجمة، ونصوص أخرى تفتقر إلى الروابط ولكنها منسجمة/ من هذه النصوص:

1. « في حدود خمس دقائق، أو عشر، لا أكثر، كان ثلاثة من الآخرين قد اتصلوا بها هاتفيا للسؤال عما إذا كانت قد سمعت شيئا ما قد حدث هناك».(طوم وولف:البضاعة المناسبة، منشورات بانتم1981). فالنص فيه ما فيه من الروابط، وهو سليم من الناحية النحوية واللغوية، إلا أن فهمه يتطلب مزيدا من المعلومات.وفي المقابل نجد الإعلان التالي:

2. محاضرة اللسانيات الإبستيمية، الخميس03 يونيو، الثانية ظهرا.

ستيف هارلو(قسم اللسانيات: جامعة يورك):

"نحو لغة بلاد الغال والنحو المعمم لبنية الجملة"" Welsh and Generalized Phrase Structure Grammar"

فالواضح أن الأستاذ ستيف هارلو سيأتي من جامعة يورك التي يدرس بها في قسم اللسانيات، ليلقي محاضرة في اللسانيات الإبستيمية تحت عنوان:"نحو لغة بلاد الغال والنحو المعمم لبنية الجملة". وذلك يوم الخميس03 يونيو، الثانية ظهرا.

فالروابط الشكلية منعدمة ومع ذلك الإعلان واضح والرسالة حسب رأي براون ويول قد وصلت إلى المتلقي، لأنه يمتلك من المؤهلات ما يمكنه من الفهم والتأويل.(ينظر براون ويول: تحليل الخطاب، ص ص267- 268).

فإذا كان الأمر كذلك فعَلاَمَ يعتمد المتلقي للوصول إلى فهم الرسالة حتى في غياب الروابط؟ أو بتعبير آخر كيف يحصل قبول المتلقي وفهمه لقصد المرسل؟

والجواب عند الباحثيْن،فالقارئ يصل إلى الفهم والتأويل عن طريق تجاور **السلسلة اللغوية**، وهذا التجاور يجعله يؤولها كما لو كانت مترابطة، فالمتلقي **يفترض** مسبقا أن كل خطاب يكون منسجما حتى في غياب الروابط. بالإضافة إلى تجاور السلسلة اللغوية فالمتلقي يتكئ على" فرضية التماسك المعنوي، ومبدأ القياس، والفهم المحلي والخصائص العامة للسياق."(براون ويول: تحليل الخطاب، ص269) وبالإضافة إلى افتراض الانسجام الذي ينطلق منه المتلقي وتجاور الكلمات والجمل والفقرات، يمكنه الوصول إلى الفهم والتأويل بالاعتماد على أسس أخرى منها:

1. ***السياق***:

يتجلى دور السياق في تسهيل عمليتي التأويل والفهم، حيث إن الظروف التي يظهر فيها الخطاب تجمع بين المرسل والمتلقي، بالإضافة إلى عنصريْ الزمان والمكانا لمحيطين بإنتاج النص/ الخطاب؛ فالخطاب الواحد إذا ورد في سياقين مختلفين قد يؤول تأويلين مختلفين.(سبق الحديث عن أهمية السياق في الدراسات النصية في هذه المطبوعة)

ويضم السياق:[المرسل، المتلقي، الحضور، الموضوع، المقام(الزمان، المكان، تعبيرات الوجه والإيماءات...)، القناة(كتابة، كلام، إشارة)، النظام(الأسلوب اللغوي: لغة- لهجة)، شكل الرسالة(حوار- جدل)، مفتاح تقويم الرسالة(شرح لموعظة- شرح لعواطف...)، الغرض(قصد المشاركين وهدفهم من هذا الحدث التواصلي)].(ينظر براون ويول: تحليل الخطاب،ص ص47- 48). وعلى الرغم من ذكر هذه الخصائص في كتاب براون ويول(تحليل الخطاب) إلا أنها وبالموازاة مع رأي هايمس Hymes لا يُختار منها إلا الأهم، أيْ إنها ليست على نفس القدر من الأهمية.

ولإبراز أهمية السياق في فهم وتأويل النص أورد براون ويول خطابات معزولة عن سياقها، وحينها يصبح لزاما على المتلقي أن يخمن ويهيئ مميزا السياق الذي يمكن أن تكون هذه الأمثلة قد وردت فيه، حيث كُتِبَ على أحد جدران مدينة جلاسجوGlasgow بسكوتلندا ما يلي:

Squashed insects don't bite mad mental ruleالحشرات المهروسة لا تعض الحكم العقل الجنوني.

فلو أخذنا الكلمات معزولة ونظرنا إليها من الناحية المعجمية فهي واضحة لا غبار عليها، بسيطة، لكن عند جمعها في صورتها السابقة تصبح بلا معنى، بلْ توحي بالغرابة والغموض. وعندما يعرف المتلقي أن زمن الخطاب هو السبعينيات، وقد عرفت هذه الفترة بظهور كتابة الخطابات على الجدران، وبخاصة إذا كان المتلقي من مدينة جلاسجوGlasgow حيث تتجمع عنده بعض المعلومات كالزمان والمكان.

وقد تكون لديه معلومات حول هذه الخطابات التي تكتب على الجدران، والتي غالبا ما تدور بين العصابات. عندئذٍ يعرف المتلقي أن كاتب هذه العبارة من عصابة تسمى العقل الجنونيMad-Mental وأن المتلقين المعنيين أو المقصودين هم أعضاء عصابة أخرى تسمى الحشرات The-insects وهكذا يؤول المتلقي الخطاب/النص ويدرك حينها أنه موجه من عصابة إلى أخرى محذراً إياها من التمادي في خرق قوانين العصابة الأخرى. وانطلاقا من ذلك يستطيع المتلقي أن يقسم الخطاب/ النص كالآتي:

الحشرات المهروسةلا تعض Squashed insects don't bite

الحكمللعقل الجنوني Mad mental rule

كما أن المتلقي يمكنه أن يؤول هذا النص انطلاقا من اعتباره تابع لنص سابق كتبته عصابة الحشرات مفاده (احذروا الحشرات إنها تعض)، وعندما يعتمد على معرفة صيغة أو شكل الرسالة (حسب رأي هايمس) يعلم أن لغة التخاطب بين عصابات الشوارع تتمثل في تبادل الشتائم. وبتجميع كل الخيوط يُفهم النص: الحشرات المرفوسة لا تعض، والإمضاء أو الحكم للعقل الجنوني. وبما أن النص موجه إلى فئة معينة أو مخاطبين معينين، كان من الصعب أن يفهمه كل الناس.(ينظر براون ويول، ص ص 54-55. ومُحَمَّد خطابي: لسانيات النص، ص ص 54- 55).وبهذا يلعب السياق والظروف المحيطة بالنص دوراً مهما ويأخذ بيد المتلقي لفهم النص/ الخطاب.

2. ***التأويل المحلي ومبدأ القياس***:

على المتلقي عند القيام بعمليتيْ الفهم والتأويل ألاَّ يُحَمِّل النص/ الخطاب أكثر مما يحتمل، وهذا يعني أن إرادته مقيدة بما يخدم النص، من جهة ومن جهة ثانية فإن تجاربه الخاصة تُعدُّ مصدراً خصباً يقيس عليها ويحدد ما هو مشترك ثمَّ ينسج ويبني التوقعات" فنحن لسنا فقط مجبولين على البحث عن أوجه التشابه بلْ إننا ننزع كذلك إلى إدراك أوجه التشابه نفسها"(براون ويول: تحليل الخطاب، ص75).

نستنتج من ذلك أن التأويل المحلي ومبدأ القياس هو جزء لا يتجزأ من مبدأ آخر هو مبدأ التشابه؛ ذلك أن الإنسان يمر في حياته بتجارب كثيرة، عاشها أو عايشها أو سمع بها، والتجارب تتشابه من قريب أو من بعيد؛ واستناداً إلى ذلك وبالقيام بعملية القياس يمكن للمتلقي أن يصل إلى فهم النص/ الخطاب.

3. ***مبدأ التشابه***:

إن التجارب السابقة للمتلقي كما ذكرنا تُزوده بالقدرة على التوقع، وتساعده في التأويل والفهم وذلك عن طريق التخمين فيما يمكن أن يحدث، لأن" استخلاص الخصائص والمميزات النوعية من الخطابات يقود القارئ إلى الفهم والتأويل بناءً على المعطى النصي الموجود أمامه، وبناءً أيضاً على الفهم والتأويل في ضوء التجربة السابقة، أيْ النظر إلى الخطاب الحالي في علاقاته مع خطابات سابقة تشبهه أو بتعبير اصطلاحي انطلاقاً من مبدأ التشابه"(مُحَمَّد خطابي: لسانيات النص، ص58).

إذاً في ضوء تجارب المحلل وتعامله المستمر مع نصوص أخرى سابقة يقوم بعملية إسقاط فيساعده ذلك في عملية فهم النص وتأويله. ويرى مُحَمَّد شاوش أن مبدأ التشابه يساعد على تحقيق التأويل، وأن مبدأ التأويل هذا يقوم على **الروابط النصية والتجارب الذاتية السابقة**، في حين يقوم مبدأ التشابه على **المعارف النصية** التي تكون نتيجة خبرة المتلقي في تعامله مع نصوص مشابهة. ولهذا فالبحث في مبدأ التشابه ومبدأ التأويل لا بد أن يكون انطلاقا من البحث في المستويات التالية:

- ✓ مستوى النص المزمع تأويله، والدور الذي تلعبه النصوص السابقة.
- ✓ مستوى التجارب الخاصة بالمتلقي ومعارفه المكتسبة التي تساعده في عملية التأويل.
- ✓ مستوى المعارف النصية التي تحصل من النص المراد تأويله والتي تساعد في تأويل النصوص اللاحقة.

إن هذه المستويات يمكن حصرها في الروابط النحوية والمعجمية الموجودة على مستوى النص، يضاف إليها تجارب المتلقي والمعارف التي يكون قد اكتسبها من قبل، والمعارف النصية التي لا تخرج عما سبق ذكره.(ينظر مُحَمَّد شاوش:أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية- تأسيس نحو النص، مجلد1،ص ص170- 171). إن محاولة التمييز بين المبادئ التي تأخذ بيد المتلقي للقيام بعملية الفهم والتأويل حسب رأيي ضرب من المستحيل،لأن النصوص التي تُقرأ والخطابات التي تُسمع تضاف تلقائيا إلى خزَّان المتلقي وتصبح جزءًا لا يتجزأ من رصيده المعرفي؛ ويُفتَح هذا الخزان تلقائيا عندما تُعرض عليه نصوص جديدة. فمبدأ التأويل المحلي يستند أساساً على تجارب ومعارف المتلقي، وهذا يُسلِمنا إلى القول بأن مبدأ التأويل يعتمد أساساً على مبدأ التشابه.

4. *مبدأ التغريض*:

التغريض عند براون ويول هو ما يستعمله المرسل كنقطة بداية إذْ لكل نص/خطاب بؤرة أو نواة تدور في فلكها بقية أجزاء النص. فالتغريض إذا قد يبدأ من العنوان، كما يمكن الوصول إليه من زوايا مختلفة كان يكون اسم مثلاً.

ويؤكد براون ويول أن العنوان لا يُعد موضوعاً للنص/الخطاب، لكن قد يكون رافداً مساعداً للوصول إليه. فالعنوان كما قال رولان بارتR .Barth"يفتح شهية القارئ"، ويثير لديه توقعات كثيرة لهذا في كثير من الأحيان يوجه العنوان المحلل أو المتلقي في عملية التأويل.

ذكرنا أن براون ويول جعلا المتلقي المسؤول الأول والأخير عن انسجام النصوص،وللوصول إلى المعرفة ذاك الانسجام زوَّدَاهُ بعمليات ذهنية نوجزها فيما يلي:

1. المعرفة الخلفية: سماها بعض الباحثين الإطارات المعرفية، وسماها البعض الآخر المعرفة المسبقة. وكما توحي به التسمية فإن المتلقي في نظرهما كما ذكرنا من قبل يمتلك معارف قبلية مسبقة تؤهله للقيام بعملية التأويل وملء الفراغات، وبالتالي الوصول إلى الغاية المطلوبة؛ فما عليه إلا الانتقاء من تلك المعلومات ما يناسب ويَفِي بالغرض.
2. المدارات: هي ترجمة للمصطلح script ترجمها مُحَمَّد خطابي إلى المدونات، وظيفتها أشبه بوظيفة المعرفة الخلفية. يضم المدار نسقا قياسياً من الوقائع جاء في وصف ظرف معين، لذا فالمدار يتعامل مع متتاليات الأحداث. تطبق المدارات على القصص والروايات التي تدور أحداثها حول حوادث السير والسيارات.
3. المخططات الذهنية: وتسمى بالسيناريوهات، وقد استعمل هذا المصطلح للحديث عن المجال المرجعي الموسع، حيث يخصص ذهن المتلقي خانات مختلفة للصور الذهنية الكثيرة. فالذهاب إلى الجامعة مثلاً لا يستدعي بالضرورة ذكر الأساتذة والطلبة وقاعات الدراسة.... فكل ذلك موجود في ذهن المتلقي.
4. الأنساق الذهنية: سماها بعض الباحثين الخطاطة، وهي بنيات معرفية تضم توجيهات تهيئ المجرب صاحب المعرفة الخلفية للتأويل(صورة الجزائري عند الغربيين إبان العشرية السوداء، أو صورة المسلم : جاهل، متخلف، غبي، إرهابي...) والأنساق الذهنية تؤثر بطريقة أو بأخرى على المؤول، لأنها أحكام جاهزة مسبقة عن الموضوع قد تضلل المحلل.
5. الاستنتاجات اللازمة: يرى براون ويول أن المتلقي أثناء قيامه بالعمليات الذهنية يتطلب منه ذلك القيام بنوع من الاستدلال من أجل الانتقال مما هو مكتوب أو مسموع إلى ما يقصده المرسل من وراء النص/الخطاب، فعندما يقول أحدُهم: الجوُّ حارٌّ هنا، والنافذة مغلقة. فالتأويل يكون بحسب السياق الذي وردت فيه الجملة، فقد تعني: افتح النافذة من فضلك، وقد تعني طلب تغيير المكان، كما قد تعني عدم الراحة لحرارة الجو...(ينظر براون ويول: تحليل الخطاب، ص306).

مشروع رفائيل سالكي *Raphael Salkie*

ويتجلى هذا المشروع من خلال كتابه النص وتحليل الخطابText.and.Discourse.Analysisالذي نشره بلندن وبنيويورك عام 1995. قدم في كتابه هذا أسس تماسك النص، ورأى أن هذه المبادئ والأسس تقوم على ما ذكره سابقوه كالتكرار والإحالة ...

والجديد الذي أضافه هذا الباحث هو حديثه عما بعد التماسك، وقد أطلق عليه اسم النموذج الكبيرBPSEأيْ الخلفيةBackground، المشكلةProblem، الحلSolutionأوSolving، التقييمEvaluation.

ويقصد **بالخلفية** الزمان والمكان والناس والأشياء التي يمكن أن نجدها في النص، و**المشكلة** هي لحظة التأزم أو المأزق في النص، وأما **الحل** فكيفية الخروج من المأزق، وبالتالي معالجة النقص في النص وقد يكون هناك أكثر من حل بل حلول، ثم **تقييم** مدى نجاح الحل والخروج من المشكلة، وما هو الحل الأفضل إذا وُجد أكثر من حل.

.(Raphael Salkie : Text and Discourse Analysis London and New York, 1995,p9 et suite)

من خلال هذا النموذج بين سالكي أن التماسك النصي قد لا يتحقق بالأدوات معنوية واللفظية وحدها، بل يُعد هذا النموذج أكثر نجاعة في إحداث التماسك، بالإضافة إلى مكتسبات المبدع والقارئ وخلفيتهما الثقافية.

إذا كان الغربيون قد قدموا ما قدموه من مجهودات لتحليل النصوص و محاولة الخروج من رتابة التحليلات العقيمة مستعينين في ذلك بالأبحاث الاجتماعية والرياضية والنفسية لخدمة النص/الخطاب، ومازالت الأبحاث تتوالى لتيسير الوصول إلى البرهنة عن اتساق النصوص وانسجامها لينهل منها الغربي والعربي قبل الغربي؛ فإننا نتساءل: هلْ أَبْحَرَ علماؤنا في لُجّ النص وبحثوا في كيفية وسُبُلِ تماسكه، وأبدعوا فيه إبداعهم في البحوث اللغوية الأخرى أمْ أن جُنُوحَهُمْ للفقه والدراسات اللغوية أنستهم البحث في النصوص والخطابات؟

التماسك النصي في التراث العربي

اتسعت دائرة الدراسات اللغوية بعد ظهور الخلاف بين البصريين والكوفيين ووقف الاجتهاد العلمي على قدم وساق، كما نشط التصنيف وازدهر التأليف على يد الفراء وأبي علي الفارسي، وبلغ قمته على يد الفارابي(260- 339هـ) بعد أن ألف "إحصاء العلوم" وقد دارت معظم فصوله حول علم اللسان. كما أُلفت المعاجم وكتب العقيدة والشعر والتفسير إلى جانب علوم اللغة، وازدهرت العربية أيما ازدهار وبلغت القمة في العصر الذهبي، ولأسباب سياسية واجتماعية عاشت بين مدٍّ وجزرٍ حتى ظهرت الدراسات الغربية بمناهجها الحديثة واعتُبر دي سوسير رائد اللسانيات الحديثة. بينما ظلت الأبحاث العربية رهينة طيات النسيان وحبيسة الكتب التي زينت الرفوف.

إلا أن الحضارات تتكامل فيما بينها، تؤثر وتتأثر فإن صحَّ لنا أن نميز بينها كان حريٌّ بنا القول ما قاله نصر حامد أبو زيد من أنَّ" الحضارة المصرية القديمة هي حضارة ما بعد الموت، وأن الحضارة اليونانية هي حضارة العقل، أما الحضارة العربية الإسلامية فهي حضارة النص."(نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص- دراسة في علوم القرآن، ص9) ذلك أن الدراسات العربية انطلقت من المنطوق فالمكتوب أو المنقول الذي مثَّل مدونة الاحتجاج (القرآن الكريم، كلام العرب شعره ونثره، الحديث النبوي الشريف) بينما ركزت الدراسات الغربية في بدايتها على المنطوق كما ذُكر من قبل، ثم تعاقبت النظريات وازدهرت البحوث فالتفتت الدراسات إلى المكتوب التفاتها إلى المنطوق.

والمتتبع للتراث اللغوي العربي الإسلامي لن يعدم وجود **تفكير لساني** (كما ذكرنا من قبل)وصلت اهتماماته درجة الحديث عن التماسك النصي من خلال الدروس البلاغة والتفسير والنقد والنحو، وكل ذخائر اللغة. لهذا كان من الصعب الإلمام بكل التراث الذي تناول علم اللغة وما ينضوي تحت هذا العلم، وبخاصة ما دار في فلك التماسك والترابط النصي وستقتصر هذه الدراسة على ذكر عدد قليل من جهابذة الفكر العربي الإسلامي وهؤلاء يُعدون قطرة من محيط.

إن التمكن من اللغة والإمساك بزمامها ومعرفة كيفية توظيف الألفاظ يؤدي دون شك إلى البيان والإبداع؛ وتلعب معاني النحو دوراً هاماً في إضفاء عناصر الجمال على الصياغة حتى قال بشير إبرير إن مفهوم البيان عند علماء العرب قد بلغ مبلغاً عظيماً، وفي مقدمتهم **الجاحظ** الذي تجاوز به مفهوم معاصريه محاولاً من خلاله تحديد شروط إنتاج الخطاب، وتعمق في المقابلة بين اللفظ والكتابة أيْ بين

المنطوق والمكتوب، فقام كتاب البيان والتبيين على ثنائية الفهم والإفهام أو الفهم والتفهيم كما سماه صاحبه؛ فأوعز فكرة الإفهام أو التفهيم إلى المتكلم، في حين أرجع مهمة الفهم للسامع أو المخاطَب.

وأما الرسالة فهي" المعاني القائمة في صدور العباد المتصورة في أذهانهم، والمتخلجة (المتحركة) في نفوسهم والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم مستورة خفية وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة وموجودة في معنى معدومة لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه وخليطه "(عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، ص56).

فالجاحظ عندما يتحدث عن البيان يربطه بالتواصل بل بالتفاعل بين المتكلم والسامع، وذلك التفاعل لا يحدث إلا إذا كان الكلام واضح المعنى، ولا يتأتى الوضوح إلا بالبيان فيقول: " والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أيّ جنس كان ذلك الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فأيّ شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع."(الجاحظ: البيان والتبيين، ص56).

إذاً الذي ينقل المعنى من المتكلم إلى السامع هو البيان وهو أقرب الطرق وأيسرها للفهم والإفهام، فيتم التركيب والبناء عند المتكلم والتفكيك وإعادة البناء عند السامع. والبيان لا يكون في المفردة المعزولة، ولا في الجملة الواحدة، بل في الكل المتكامل المتفاعل الذي يتم به الفهم والإفهام.

وهكذا فالبيان هو النص بالمفهوم الحالي، لأن البيان هو الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي ونراه عند الجاحظ يتجسد من خلال خمسة مراتب سواء كانت الدلالات لفظية أو غير لفظية، وهذه الأصناف أو المراتب هي: اللفظ والإشارة والعقد والخط والنصبة(الحال). (ينظر مُحَمَّد الصغير بناني:النظرية اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، ص67 وما بعدها).

فالمتأمل لكلام الجاحظ عن البيان يدرك دون عناء أن" فكره كان متجها بلا شك نحو النص باعتباره وسيلة ربط بين المتكلم والسامع من أجل الفهم والإفهام، والعناصر التي وقف عندها الجاحظ (المعاني قائمة في الصدور متصورة في الأذهان...) والتي تمثل أسس نظرية الكلام أو المعرفة عنده إنما تجعلنا نعتقد بأن البيان في حقيقة الأمر هو النص"(ينظر بشير إبرير: مفهوم النص في التراث اللساني العربي، المجلد23، العدد الأول، ص ص102-103).

كما يرى بشير إبرير أن البيان كلمة متفردة في التراث العربي بل هو مصطلح مركزي في الثقافة العربية، والحديث عن البيان إنما هو حديث عن النص دون التصريح بهذا المصطلح، ولئن كان الجاحظ أكثر العلماء المهتمين بالبيان فإن مفهوم النص يكون من مفهوم البيان. وهو كذلك عند **الإمام الشافعي**. فقد أسهم هذا المفهوم(مفهوم البيان) في نقل الثقافة العربية الإسلامية من صورتها المنطوقة إلى نطاق الكتابة والتدوين، ولا يكون ذلك إلا من خلال النصوص التي تصف ما كان وما هو كائن وما سيكون، فالبيان هو الفصل والوصل والظهور والوضوح والفصاحة والقدرة على التبليغ والإقناع..(ينظر بشير إبرير: مفهوم النص في التراث اللساني العربي، ص ص93-94).

والربط بين القديم والحديث يعد منهجاً قويماً لدراسة الفكر الإنساني عامة واللغوي بصفة خاصة، فلا يُهمَل القديم لقدمه ولا يُبجَّل الجديد لحداثته، فالفكر لا يُبنى من العدم لأن الحاضر غرس الماضي كما يُقال فلا يمكن" إهمال أربعة عشر قرناً(بل خمسة عشر قرناً) من العمل الجاد في مجال اللغة... ومن ثَمَّ فإننا نؤمن أن البدء من الصفر المنهجي في هذا المقام – مقام الدراسات النصية- يعني إهدار أربعة عشر قرنا من النتاج اللساني المتميز الذي هو إنجاز قوْم من أعلم الناس بفقه العربية."(صبحي إبراهيم الفقي: علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، ص83).

والمقام هنا ليس مقام موازنة أو مفاضلة بين قديم وحديث أو بين عربي وغربي ومعرفة أيهما أنجع وأفضل، فلكل مرجعياته وخصوصياته، ومكانته التي يحتفظ بها، لكن أعتقد أن الفكر الإنساني ليستْ له هوية، فالحضارة الإنسانية ملك مشاع يقف إزاءها العربي والغربي على قدم المساواة، والفضل بينهما يعود إلى الاجتهاد والبحث الجاد. ويقف التراث العربي الإسلامي شامخا لا يمكن تجاوزه أو غض الطرف عنه، ويُنظر إلى الفكر الغربي على أنه جهد بُذل لخدمة الإنسانية جمعاء ولا يمكن أن ننكر فضله.

إن أقوال البلاغيين والمفسرين تعد بحثا نصيا، حيث انصبت أغلب دراساتهم على النص القرآني نظرا لإعجازه اللغوي والأسلوبي ودقة نسجه الذي منحه صفة الإعجاز، ذلك أن قوة نظمه وشدة تماسكه جعله كالكلمة الواحدة على الرغم من تنوع السور(مكية ومدنية) وتفاوت فترات التنزيل. فموضوعه يدور حول عبادة الله الواحد الأحد، والمغزى العام هو دعوة البشرية لتدبر هذا النص الذي يدور حول الأحكام الشرعية التي هي مدار السعادة الأبدية، وهي العروة الوثقى والصراط المستقيم مصداقا لقوله تعالى:﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ص29.

والتدبر هو محور الدعوة الإسلامية في الأساس لأنه يوصل بالضرورة إلى الإيمان المطلق بأنه لا إله إلا الله، وأنه لا مفر منه إلا إليه(ينظر مصطفى السعدني: تمعين النص- قراءة نقدية لأعراف الفهم البشري للخطاب القرآني،ص9).

ولم يكن علماء العربية من نحاة وبلاغيين ومفسرين القدامى بمنأى عن عالم النص، ولا عن الظواهر النصية إنْ على مستوى التنظير أو على مستوى التطبيق، وبخاصة على النصوص القرآنية والشعر العربي.

فقد حاولوا تجاوز مستوى الجملة المعزولة والبحث في الكل انطلاقا من الجملة الأولى. ولعل من بين أقدم ما وصل إلينا من ومضات النصية في الدرس اللغوي العربي يعود إلى **كتاب سيبويه**، إذْ صرح كثير من الباحثين بأن **سيبويه** لم يدرس الجمل المنفردة وحدها ولم يخص الكتاب بالنحو وحده، وإنما كان مؤلفه (الكتاب) جامعاً لعلم الأصوات والنحو والبلاغة والقراءات وغيرها من علوم عصره التي دارت حول فصاحة القرآن، حتى وإن عُدَّ الكتاب في النحو فقط، فقد كان النحو" دراسة لنظم الكلام وكشفا عن أسرار تأليف التراكيب، وبيانا لما يعرض له من ظروف، وتوصلا إلى ربط المعنى بالسياق."(صالح بلعيد: التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص72).

فالنحو ليس دراسة العلامة الإعرابية فحسب، فهذه العلامة كانت نتيجة ترتيب للألفاظ والتراكيب وتتابع جمل وفق سياقات معينة. ويتضح ذلك جليا في باب "**حسن الاستقامة من الكلام والإحالة** "حيث قسم سيبويه الكلام إلى مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، ومحال كذب؛ فالكلام لا يمكن أن يستقيم إلا ببناء المعنى والتركيب الجيد، بالإضافة إلى صدق الإخبار حيث تُضم المفردات بطريقة معينة لكي تؤدى المعاني النحوية وفق ما يقتضيه السياق على أكمل وجه.

كما يؤكد سيبويه على أهمية الضمير العائد ـ وهو ما أصبح يعرف بالإحالة الضميرية ـ في باب **(هذا ما يجري مما يكون ظرفا هذا المجرى)**.

والحديث عن التماسك عند سيبويه هو حديث عن الإحالات والحذف، فقد نظر إلى المبتدأ والخبر وكأنهما شيء واحد، وهو من وسائل التماسك وصحة المعنى. ويشير **المبرد**(ت286هـ) إلى أن المعنى يمكن تحصيله بضم وتركيب الكلمات، وهو ما يُحدث التماسك الدلالي، ولا يُهمَل دور السامع أو المتلقي في التفاعل مع النصوص فقولك:" زيدٌ، فإذا ذكرته فإنما تذكره للسامع، ليتوقع ما تخبره به عنه،

فإذا قلت: مُنْطَلِقٌ أو ما أشبهه صحَّ معنى الكلام وكانت الفائدة للسامع في الخبر، لأنه قد كان يعرف زيداً كما تعرفه... فلما كان يعرف زيداً ويجهل ما تخبره عنه أفدته الخبرَ، فصحَّ الكلام."(المبرد: المقتضب، ج4، ص ص126- 127) فالحديث عن فائدة الخبر أو حين يكون لازم الفائدة يحيل إلى علاقة المتكلم بالسامع دون إهمال السياق المحيط.

ولم يخرج **ابن جني**(ت392هـ) عن ذلك في حديثه عن اللفظ والمعنى، حيث رأى أن الألفاظ تأتي خدماً للمعاني فلا يكون الكلام مفهوما ولا يُوصِلُ المتكلم المعنى إلى المخاطَب إلا بانتقاء الألفاظ التي تناسب المعاني، يقول في كلامه عن العربية:" فإذا رأيتَ العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسَّنوها، وحَمَوْا حواشيها وهذَّبوها، وصَقَلوا غُروبَها وأرهفوها، فلا ترينَّ أن العناية إذْ ذاك إنما هي بالألفاظ، بلْ هي عندنا خِدْمة منهم للمعاني، وتنويه [بها] وتشريف منها."(ابن جني: الخصائص، ج1، ص238).

ويضيف في موضع آخر:" لقد رأيت- بما أوردناه- غلبة المعنى على اللفظ، وكون اللفظ خادماً له، ومشيداً به، وأنه إنما جيء به له، ومن أجله."(الخصائص، ص253) ويبين ابن جني كذلك أن الإعراب وسيلة من وسائل إيضاح المعنى حتى تؤدي الرسالة غرضها ويحصل الفهم والإفهام بين طرفي الاتصال، فهو(أيْ الإعراب) الإبانة عن المعاني بالألفاظ. ولا يخلو كلام في كتابه الخصائص عن وسائل التماسك كالحذف والزيادة والتقديم والتأخير حيث جعل له بابا سماه(**باب في شجاعة العربية**). فالنحو عند من نطلق عليهم اسم النحاة لا يكون رصداً للعلامات الإعرابية أو الحركات وإنما قد يكون النحو وسيلة وليس غاية في حدِّ ذاته.

مقياس جودة الشعر عند الجاحظ(ت255هـ):(رأينا أن مفهوم البيان عنده من مفهوم النص)

إذا كان النحاة العرب قد تطرقوا إلى قضية التماسك بين الكلمات والجمل، فإن أقدم من تحدث عن التماسك النصي في الدرس اللغوي باللفظ والمعنى هو الجاحظ (ت255هـ) في كتابَيْه الحيوان والبيان والتبيين، فقال:" وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فيُعلم بذلك أنه أُفرغ إفراغا جيداً، وسُبِك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان. وأما قوله:" كبعر الكبش" فإنما ذهب إلى أن بعر الكبش يقع متفرقا غير مؤتلف ولا متجاور. وكذلك حروف الكلام وأجزاء الشعر من البيت تراها متفقة لمساً ولينة المعاطف سهلة. وتراها مختلفة متباينة ومتنافرة مستكرهة تشق على

اللسان وتكُده. والأخرى تراها سهلة لينة ورطبة متواتية سلسة النظام خفيفة على اللسان، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد."(الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص50) وعبارة كبعر الكبش يقصد قول أبي البيداء الريّاحي(من الطويل):

وَشِعْرٌ كَبَعْرِ الكَبْشِ فرَّق بيْنه * لسانُ دَعِيٍّ في القَريضِ دَخيل**

ولأن بعر الغنم تسقط مبعثرة، مفرقة. فالجاحظ يذم الشعر المفكك الذي يفتقر إلى تلاحم أجزائه. فأجود الشعر ما كان الجزء يسلم إلى الجزء، والكلمة تفضي إلى الكلمة، والعبارة إلى العبارة حتى كأنه قطعة واحدة، فهو كالبنيان الذي تلاحمت لبناته واتحدت وحداته.

إن الجاحظ يرى أن الشعر الجيد هو الذي يجري على اللسان دون مشقة لعذوبته وسلاسته، بحيث تتماسك أجزاؤه، وقد شبهه بالدهان الذي ينحدر دونما انقطاع أو انفصال. وهذا ما يترجم اهتمام العرب بقضية السبك إذْ يقول الجاحظ:" ورأيت عامتهم ـ قد طالت مشاهدتي لهم ـ لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيرة والمعاني المنتخبة، وعلى الألفاظ العذبة، والمخارج السهلة، والديباجة الكريمة، وعلى الطبع المتمكن وعلى السبك الجيد، وعلى كل كلام له ماءٌ ورونقٌ، وعلى المعاني التي إذا صارت في الصدور عمرتها وأصلحتها من الفساد القديم، وفتحت للسان باب البلاغة، ودلت الأقلام على مدافن الألفاظ، وأشارت إلى حسان المعاني ورأيت البصر بهذا الجوهر من الكلام في رواة الكتاب أعم، وعلى ألسنة حُذَّاق الشعراء أظهر(الجاحظ: البيان والتبيين، ج4، ص24).

فما يُفهم من حديث الجاحظ عن السبك هو ترتيب الألفاظ، وربط بعضها ببعض. ونجد إلحاحه على عملية السبك في حديثه عن شعر أبي نواس، يقول:" وكان قد لعب بالكلاب زمانا، وعرف عنها ما لا تعرفه الأعراب وذلك موجود في شعره. وصفات الكلاب مستقصاة في أراجيزه، هذا مع جودة الطبع وجودة السبك، والحذق بالصنعة، وإن تأملت شعره فضلته."(الجاحظ: الحيوان، ج2، ص27).

إنَّ شعر أبي نواس في نظر الجاحظ يتميز بجودة الطبع، وجودة السبك، مترابط الأجزاء، بعيد عن التكلف وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على حذق الشاعر وحنكته وقدرته الشعرية. فالجاحظ وإن تكلم عن البلاغة إنما كلامه كان عن الربط بين الأجزاء التي تشكل الكل، وذكرنا أن لسانيات النص قد أخذت من كل علم بطرف، حتى إنّ بعضهم كما عرفنا جعل علم النص الوريث الشرعي للبلاغة.

حسن التخلص عند ابن طباطبا (ت322هـ):

مع أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجريين عرف الحديث عن التماسك النصي منعطفاً جديداً على يد **ابن طباطبا** الذي تناول المسألة من خلال حديثه عن حسن التخلص والانتقال من موضوع إلى آخر، ووضع لذلك شروطا، وقد جاءت هذه الآراء متفرقة في كتابه **عيار الشعر** حيث رأى أن" للشعر فصولا كفصول الرسائل فيحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه، على تصرفه في فنونه، صلة لطيفة، فيتخلص من الغزل إلى المديح إلى الشكوى بألطف تخلص، وأحسن حكاية، بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله..."(ابن طباطبا: عيار الشعر، ص44) إن هذه الانطلاقة في تتبع حركة التخلص في الشعر تنم عن وعي ابن طباطبا وتأكيده على ضرورة التماسك النصي.

لقد شبه فصول الشعر بفصول الرسائل، لكنه لم يوضح فصول الرسائل بحيث يمكن أن نحكم على تماثل فصول الشعر بها. ويرى مُحَمَّد خطابي أن عدم الاهتمام هذا قد يكون راجعا إلى السياق المعرفي الذي كتب فيه ابن طباطبا كتابه "عيار الشعر" حيث لم يكن في حاجة إلى توضيح لأن الأمر مألوف لاعتبار هذا التماثل مسلم به في ثقافة الكتاب والشعراء(ينظر مُحَمَّد خطابي: لسانيات النص ، ص ص144- 145).

وركز في حديثه عن ضرورة وصل الكلام بعضه ببعض، ذلك أن القصيدة العربية القديمة كانت متعددة الأغراض- إن صح هذا التعبير- فهي تتشكل من عدة أغراض فكان لزاما على الشاعر أن يحسن التخلص والانتقال من فن إلى آخر بحيث تكون أجزاء القصيدة متماسكة، وإلا جاءت مفككة وهو ما أكده في العنصر الثالث والرابع أيْ التأكيد على علاقة التكامل التي يجب أن تتوفر في النص.

لقد رأى أن" أحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاماً، يتسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله(...) يجب أن تكون القصيدة ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها نسجاً وحسناً وفصاحةً وجزالة ألفاظ، حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغاً، تقتضي كل كلمة ما بعدها، ويكون ما بعدها متعلقا بها مفتقراً إليها."(ابن طباطبا: عيار الشعر،ص167).

وقيد الشاعر بشرط عليه أن يخضع له فقال:" ينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره، وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بينها لتنتظم له معانيها ويتصل كلامه فيها، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه، وبين تمامه فضلا من حشو ليس من جنس ما هو فيه، فينسى السامع المعنى الذي

يسوق القول إليه، كما إنه يحترز من ذلك في كل بيت، فلا يباعد الكلمة عن أختها، ولا يحجز بينهما وبين تمامها بحشو يشينها، ويتفقد كل مصراع هل يشاكله ما قبله: فربما اتفق للشاعر بيتان يضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر، فلا ينتبه على ذلك إلا من دق نظره ولطف فهمه."(عيار الشعر، ص165). لقد كان كلام ابن طباطبا صريحا فهو يؤكد على الوصل بين أجزاء القصيدة الواحدة بحيث ينتظم أولها مع آخرها عن طريق علاقات قبلية وبعدية فتشكل نسيجا متلاحما.

كما يميز ابن طباطبا بين نوعين من الشعر" النوع الأول المحكم يظل محتفظا بقوة معانيه وجودتها، والثاني يبهر السامع ولكنه حين يحلل يكشف عن فراغ معنوي لا يبقى منه لدى السامع إلا أنه كان عذبا مزخرفا. ومن ثم جاز وصف الأول بأنه كالقصور المشيدة، والأبنية الوثيقة، والثاني بكونه كالخيام الموتدة التي تنزعها الرياح، ويخشى عليها التقوض."(مُحَمَّد خطابي: لسانيات النص، ص46). وبما أن القصيدة العربية كانت متعددة الأغراض كان الشاعر يلجأ إلى بعض الصيغ اللفظية للربط بين أجزاء القصيدة مثلك(دع ذا، اذكر كذا) وغيرها.

حسن الرصف عند أبي هلال العسكري(ت395هـ):

لم يكن **أبو هلال العسكري**(ت395هـ وقيل توفي عام 411هـ) بعيداً عما أورده ابن طباطبا، إذْ رأى أن المنظوم الجيد يشبه العقد المتناسق، وأن الكلام كلما كان حسن الرصف والتركيب كان أكثر جودة، ويقوم الرصف عنده على الاستعمال اللغوي الصحيح فلا يُقدم ما من حقه التأخير ولا يؤخر ما من حقه التقديم، وعلى الألفاظ أن توضع مواضعها استنادا إلى أخواتها لأن "حسن التأليف يزيد المعنى وضوحا وشرحا، ومع سوء التأليف ورداءة الرصف والتركيب شعبة من التعمية... وحسن الرصف أن توضع الألفاظ مواضعها، وتمكن في أماكنها، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير والحذف والزيادة إلا حذفا لا يفسد الكلام ولا يعمي المعنى، وتضم كل لفظة منها إلى شكلها. وسوء الرصف تقديم ما ينبغي تأخيره منها، وصرفها عن وجوهها، وتغيير صيغتها، ومخالفة الاستعمال في نظمها..."(أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، ص179).

إن أبا هلال العسكري يرى أن حسن السبك ودقة النظم يزيد من وضوح المعنى، ويكون ذلك بوضع الألفاظ موضعها، كما تُرتب بحسب أولويتها بحيث لا يكون الأول إلا الأول والثاني هو التالي،

ثم إن الحشو والزيادة في المواضع التي لا يفيد فيها الحشو والحذف يخل بالمعنى ويُفسد الكلام. إذاً يعد السبك عنده من أهم شروط تمام النظم ووضوح المعنى. ومع حلول القرن الخامس الهجري اتضحت ملامح فكرة التماسك عند علماء المسلمين أمثال ابن رشيق القيرواني وعبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني وعلماء التفسير وغيرهم.

أهمية الألفاظ عند ابن رشيق:

استعان أبو علي الحسن بن رشيق المسيلي القيرواني(ت456هـ) في حديثه عن التماسك النصي بما قاله الجاحظ من أن أجود الشعر ما كانت أجزاؤه متلاحمة وقد ذكر القول من قبل، وعقب على هذا الكلام قائلاً:" وإذا كان الكلام على هذا الأسلوب الذي ذكره الجاحظ لذَّ سماعه، وخفَّ محتمله، وقرُب فهمه، وعذُب النطق به، وحلى في فم سامعه، فإذا كان متنافراً متبايناً عَسُرَ حفظه، وثقُل على اللسان النطق به، ومجته المسامع فلم يستقر فيها منه شيء."(ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص407).

وهذا يؤكد أن ابن رشيق يوافق الجاحظ في أن التلاحم بين أجزاء النص يؤثر في المتلقي لأن غاية ما ينشده المتكلم هو إفهام السامع ومحاولة إقناعه، لأن" الخطاب الشعري كي يتسم بمتعة الجمال فإنه لابد من أن تتوفر فيه عناصر تكوّن هذه المسحة الجمالية منها:

1. تلاحم الأجزاء.
2. سهولة المخارج.

هذان العنصران يفضيان بدورهما إلى نتيجتين واضحتين في الأسلوب الشعري تتمثلان في إفراغ هذا الشعر إفراغاً واحداً، وسبكه سبكاً واحداً ليغدو أسهل على اللسان مثل الدهان."(محمد مرتاض: النقد الأدبي القديم في المغرب العربي...، ص ص134- 135) وحتى يتوفر العنصران بات من الضروري إعطاء البنية الإفرادية (الألفاظ) أهمية خاصة، لأنها اللبنة الأساسية التي في ضوئها يتأسس البناء الشعري.

النظم عند عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ):

من المعروف أن الدرس اللغوي القديم قد اتخذ من القرآن الكريم ميداناً له ومادة للبحث. فوقف العلماء عند الكلام الإلهي المعجز يحاولون دراسته من جميع المستويات، ومن بين هؤلاء العلماء

عبد القاهر الجرجاني في كتابيه "أسرار البلاغة" و "دلائل الإعجاز"، وقد استقطبت نظرية النظم فضول الباحثين، وأسالت أقلامهم،لأن بلاغة القرآن الكريم ونظمه عند عبد القاهر الجرجاني يعد مفتاح فهم النص القرآني، فالبيان الذي قال عنه ﷺ:" **إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْراً** " هو بمثابة قطب الرحى لهذه الدراسات.

لقد أشاد عبد القاهر بعلم البيان فقال:" إنك لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً، وأبسق فرعاً، وأحلى جنىً وأعذب ورداً وأكرم نتاجاً وأنور سراجاً من علم البيان، الذي لولاه لم تَرَ لساناً يحوك الوشي ويصوغ الحلي ويلفظ الدرَّ وينفث السحر... والذي لولا تحفيه بالعلوم وعنايته بها وتصويره إياها لبقيت كامنة مستورة." (عبد القاهر الجرجاني :دلائل الإعجاز، ص ص22- 23)فهو يرى أن البيان الذي يتجلى في الكلام هو الذي ينزل العلوم منازلها، وهو الذي فُضِّل به الإنسان على سائر المخلوقات.

إن النظم يعني" تأليف الحروف والكلمات والجمل تأليفاً خاصاً يسمح للمتكلم والسامع أن يرتقيا بفضل بديع التركيب إلى مدارك الإعجاز في المعاني، علْماً بأن المعاني تملأ الكون وتعمر الفضاء، واختيار تركيب من التراكيب في النص كاختيار مسلك من المسالك في البر والبحر قد يؤدي بالسالك(أي المتكلم) إما إلى الوصول إلى الغاية التي يقصدها في بَرِّ النجاة أو إلى الضلال والهلاك، والنظم كالبناء والنسيج يتم في معاقد النسب والشبكة، فمعاقد النسب تبرم الخيوط التي تذهب طولا ومعاقد الشبكة تبرم الخيوط التي تذهب عرضا، فإذا نسجت خيوط الطول في خيوط العرض حصل النظم." (مُحَمَّد الصغير بناني: المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، ص ص24- 25).

فالألفاظ تتعالق وتتقاطع أفقيا وعموديا على محوريْ **السَّدْيِ والنَّيْرِ** كما يسميهما مُحَمَّد الصغير بناني(أطلق عليها عبد القاهر الجرجاني اسم **معاقد الشبكة**، وسماها دي سوسير**العلائق**، وأما بارث فقد سماها **نسيج العنكبوت**) أو هي محور التراكيب ومحور الاستبدال للوصول إلى النظم.

ويربط عبد القاهر الجرجاني مفهوم النظم بمعاني النحو وهو ما يُظهر تأثره بالنحاة، لأنهعندما تُرتَّب الألفاظ وفق ما يقتضيه علم النحو فهذا يعني أن الكلام يأتي منسجما في السياق، فالغرض بنظم الكلم ليس" أن توالت ألفاظها على النطق بل إن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل."(عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص51) ومما لاشك فيه أن عبد القاهر عندما ربط حقيقة النظم بترتيب الألفاظ وفق ما يقتضيه علم النحو لم يقف عند حدود الجملة.

فالنظم إذاً يتعدى إلى الفقرة بل إلى النص، فالكلام عنده يعلق بعضه ببعض، ثمَّ إنَّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة بل" تثبت لها الفضيلة وخلافها من ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك."(عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز،ص43).

لقد نظر عبد القاهر إلى النص القرآني على أنه بنية متكاملة إذْ " تأملوه سورة سورة، وعشراً عشراً، وآيةً آيةً، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى وأخلق، بل وجدوا **اتساقاً** بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاما والتئاما، وإتقانا وإحكاما."(عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز،ص44).

فهو بهذا يشير إلى النظرة الكلية للنص من جهة ومن جهة ثانية توظيفه لبعض المصطلحات التي يوظفها علماء لسانيات النص اليوم كالاتساق والتماسك أو(الالتئام)... ويكون النظم هو مجموع العلاقات التي تربط بين الكلمات والجمل بحيث تكون كل لفظة مرهونة بما قبلها وما بعدها في انسجام تام. ولم تكن نظرية النظم قد خص بها النص القرآني فحسب، بل ما كان من شعر العرب أيضا كأشعار المتنبي والبحتري وأبي تمام وابن المعتز وأبي العلاء المعري وغيرهم.

إنَّ القرآن الكريم وإن فاق قدرة البشر وبلاغتهم إلا أنه لم يخرج عن كونه لغة العرب قاطبة التي مثَّل الرسول ﷺ قمة فصاحتها في قوله:« **أنا أفصح العرب بيد أني من قريش**».

ويشير إلى أهمية التماسك في مقاربة النصوص ويقترب من الممارسة النصية اليوم، فمن" المبادئ التي يعتمدها في قراءته للنصوص شعرية كانت أم نثرية :

1. أهمية التماسك في النص على المستوى الأفقي أو ما يعرف بالاتساق.
2. لا يمكن إغفال جزء من أجزاء النص عند معالجة غيره، فالأجزاء لا تعرف إلا بالكل الذي يجمعها(ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض).
3. اتسام النص بالتماسك في أجزائه جميعها إذْ لا فرق هنا بين عمدة وفضلة، فالكل يُسهم في صياغة الرسالة."(خليل بن ياسر البطاشي: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص ص37- 38).

ولم يكن عبد القاهر الجرجاني الوحيد الذي تحدث عن النظم فقد سبقه إلى ذلك أحد أعلام المعتزلة وهو **القاضي عبد الجبار**(ت415هـ) ولكنه سمَّى نظريته "**الضم**" ورأى أن مرد الفصاحة إلى

حسن التنسيق بين الكلمات في التركيب، وهو الرأي الذي ذهب إليه معظم علماء العرب إنْ لم نقل كلهم.

قال:" اعلمْ أن الفصاحة لا تظهر في إفراد الكلم، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولا بد مع الضم أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد يكون بالموقع وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع، لأنه إما أن تعتبر فيه الكلمة أو حركاتها أو موقعها، ولابد من هذا الاعتبار في كل كلمة، ثم لابد من الاعتبار مثله في الكلمات إذا انضم بعضها إلى بعض، لأنه قد يكون لها عند الانضمام صفة، وكذلك لكيفية إعرابها وحركاتها وموقعها."(القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، **نقلا** عن أحمد درويش: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، ص94).

إن القاضي عبد الجبار يرى أن الكلمة المفردة لا تظهر الفصاحة، وإنما تتجلى هذه الأخيرة في التركيب الذي يتميز بخصائص منها:

- ✓ **المواضعة**: وهي طريقة اختيار الكلمة من بنية معينة ومادة لغوية معينة، كاختيار زمن الفعل مثلا لأن الماضي غير المضارع غير الأمر، وعلاقة الصفة بصاحبها، وانتقاء صيغة المبالغة غير اسم الفاعل في تحديد حجم الحدث.
- ✓ **الإعراب**: لا يقصد به عند القاضي عبد الجبار مجرد الرفع والنصب والجر، لكنه يقصد الوظائف النحوية للكلمات التي تميزها هذه العلامات كالفاعلية والمفعولية والظرفية وغيرها.
- ✓ **الموقعية**: ويقصد بها التقديم والتأخير وما يرافقها من اتجاهات في المعنى النفسي عند صاحب التركيب و المتلقي(ينظر أحمد درويش: دراسة الأسلوب...، ص95).

إن هذه العناصر هي التي تحقق الضم عند القاضي عبد الجبار، وقد حاول **الباقلاني** الوصول إليها في ما أسماه **بالنظم** ليس في مناقشة نسج القرآن الكريم فحسب، بل في مناقشة الشعر كأشعار" امرئ القيس أشهر شعراء الجاهلية، والبحتري أقوى الشعراء المحدثين ديباجة وإحكام نسج... ليثبت أن جمال نظم القرآن لا يلحقه جمال بلاغي آخر، وأن القرآن هو النص العربي الوحيد الذي لا يأتي بين أجزائه تفاوت في جمال النظم، فعناصر الجمال موجودة في كل آياته قصصاً وتشريعاً ووعداً ووعيداً."(أحمد درويش:دراسةالأسلوب..،ص ص 92- 93).

إن مثل هذه الآراء وإن كانت لا ترقى إلى مستوى المناهج الحديثة بشكل من الأشكال فإنها تبين وبصورة واضحة اهتمام القدامى بالنص انطلاقا من النص القرآني الذي يُعدُّ القدوة والغاية في البلاغة والإعجاز، وكذلك النص الشعري الذي كان ديوان العرب وسجل أخبارهم وأيامهم وأنسابهم.

والملاحظ أن عبد القاهر يلتقي مع اللسانيين المعاصرين الذين يعتبرون النص الأدبي مدونة أو نظاما، وأن كل شيء في هذا النظام يأتي مترابطا ولا يمكن لعنصر أن يشذ بل يذوب كل جزء في باقي الأجزاء، وذلك بتوظيفه لبعض المصطلحات: كالتأليف والترتيب والتركيب والنظام والنسق... وطبق ذلك على الشعر والنثر(ينظر محمد عباس: الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني، ص ص66- 67).

فالمتتبع لآراء عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز يدرك أنه نظر إلى النص من جوانب متعددة:

1. **من منظور تعليق الكلم:**

وضع النحو من أجل فهم حقيقة القرآن الكريم الذي لا ترجع بلاغته إلى الألفاظ وحدها،لأن الألفاظ كان يعرفها القاصي والداني، ولأن القرآن الكريم نزل بلغة عرب شبه الجزيرة العربية، فبلاغته وسرُّ إعجازه يرجع إلى التراكيب المتجانسة، واتحاد اللفظ مع المعنى. لهذا نجد عبد القاهر الجرجاني يقول" ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض."(عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص15).

وهذا التعليق لا يقصد به ضم الكلمة إلى الكلمة كيفما كان واتفق أو ذكر اللفظة بعد اللفظة من غير أن يكون بين معاني هذه الألفاظ اتصال وانسجام وتفاعل، فالتعليق يكون بضم الكلام إلى بعضه البعض في تركيب تحكمه علاقات قوية جامعة وتخضع لهذه العلاقات كل الألفاظ حيث تستأنس كل لفظة بأختها، ويلائم معناها معاني جاراتها، غير أنه لا يقصد المعنى اللغوي الذي يُبحث فيه عن المعنى المستنبط من دلالة اللفظ وحده، بل لا بد من الذهاب إلى أبعد من ذلك.

فمن المسلم به و" المعلوم علم الضرورة أن لن يتصور أن يكون للفظة تعلق بلفظة أخرى من غير أن تعتبر حال معنى هذه مع معنى تلك، ويراعى هناك أمر يصل إحداهما بالأخرى، كمراعاة كون « نبك » جوابا للأمر في قوله: قفا نبك."(عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص261).

وهذا يعني أن اللغة ليست مجرد قواعد شكلية جامدة يتم تطبيقها دون مراعاة الدلالة والسياق، فهي مجموعة من العلائق المترابطة، كما لا يمكن وصف اللفظة بالفصاحة والتميز والبلاغة إلا من خلال حضورها مع أخواتها.

2. **من منظور التناسق الدلالي(من منظور المعنى):**

إن الكلام عند عبد القاهر يُنظر إلى معناه (دلالته) على النحو الذي يقتضيه العقل،"فليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل إن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل... وأنه نظير الصياغة والتحبير والتفويف" (عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص51).

(التفويف: نوع من التوشية). فالجانب النحوي وحده لا يكفي وإنما يحتاج إلى الجانب الدلالي حتى يصل المعنى إلى السامع، فقد يكون الجانب النحوي صحيحا لكن إذا لم يُراعى الجانب الدلالي لن يصل المعنى إلى السامع كما ذُكر من قبل.

3. **من منظور تداولي:**

وهو الذي عبر عنه عبد القاهر(بنظم الكلام بحسب المعاني والأغراض التي تَؤُمُ) فقال:" وإذْ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلمْ أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازدياداً بعدها. ثم اعلمْ أن ليس المزية بواجبة لها في أنفسها (الضمير يعود لمعاني النحو أو للفروق والوجوه)، ومن حيث هي على الإطلاق ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض، تفسير هذا أنه ليس إذا راقك التنكير في« سؤدد » من قوله:« تنقل في خلقي سؤدد»

من قول البحتري: **تنقل في خلقي سؤدد *** سماحاً مرجى وبأساً مهيبا**

وفي « دهر» من قوله: « فلو إذ نبا دهرٌ» من قول إبراهيم بن العباس:

فلو إذ نبا دهرٌ وأنكر صاحبٌ * وسلط أعداءٌ وغاب نصيرُ**

فإنه يجب أن يروقك أبداً وفي كل شيء، ولا إذا استحسنت لفظ ما لم يسم فاعله في قوله: « وأنكر صاحبٌ» فإنه ينبغي أن لا تراه في مكان إلا أعطيته مثل استحسانك ههنا. بل ليس من فضل ومزية إلا بحسب الموضع، وبحسب المعنى الذي تريد والغرض الذي تؤمُّ، وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش"(عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص74).

فالمنظوم في نظر عبد القاهر يتميز بمراعاة المتكلم لمقتضى الحال من سياق ومقام، فاللفظة قد تُستحسن في موضع وتُستهجن في موضع آخر.

فالسياق هو الذي يحدد معاني الألفاظ، وهي الميزة التي جعلت القرآن الكريم يكون معجزاً وقد وضح ذلك في تناوله لكثير من آي القرآن الكريم قد سبقت الإشارة إليها. ومن هذا المنطلق فقد تمخضت عن جهود عبد القاهر الجرجاني مجموعة من الأسس والمبادئ استنتجها مُحَمَّد خطابي كانت قد وردت في باب الفصل والوصل، وهي كالآتي:

1. **الأساس النحوي:**

ويقصد به عبد القاهر الجرجاني الانطلاق من مجموعة من القواعد والقيود النحوية التي بلورها من أجل ضبط العطف كالتمييز بين عطف المفرد على المفرد وعطف الجملة على الجملة، وامتناع ذكر الواو بين الوصف والموصوف وغيرها.

1. **المبادئ المعنوية**،وتشمل العلاقات التالية:

❖ **معنى الجمع**: (النظير والتشريك) ويكون لتبرير العطف الذي يقع بين جملتين لا محل للمعطوف عليها من الإعراب، فالمتعارف عليه في العطف هو اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم، فلما انعدم هذا الحكم المشترك بينهما أراد عبد القاهر إيجاد علة أو تبرير لهذا العطف، فاقترح ما أسماه **معنى الجمع**، وأشرك السامع وجعله أحد عناصر السياق، وحاجته إلى معرفة حال المعطوف بعد معرفة حال المعطوف عليه وذلك لاقترانهما في ذهنه، وجعل هذا مبررا من مبررات العطف حيث يكون المعطوف والمعطوف عليه كنظيرين وشريكين. وقد يكون القيد المجوز للعطف أن يكون الخبران شبيهين أو نقيضين أو نظيرين ويتضح ذلك بالأمثلة التالية:

ـ زيد طويل القامة وعمرو شاعر(عطف شاذ). فلا يمكن الجمع بين طول قامة زيد وشاعرية عمرو، حيث لا يوجد قاسم مشترك بين الصفتين، لذلك كان العطف شاذاً.

ـ زيد طويل القامة وعمرو قصير(عطف معقول). فقد انتزعت الصفتان من سمة واحدة هي طول قامة زيد وقصرها لدى عمرو، فكان عطفا معقولا.

ـزيد شاعر وعمرو كاتب(عطف معقول) لأن النشاط الذي يمارسه عمرو شبيه بالنشاط الذي يمارسه زيد، فهذا شاعر وذاك كاتب.

❖ **التضام العقلي والنفسي**:ويبرر عبد القاهر الجرجاني العطف تبريراً تداولياً، بحيث يعود تبرير العطف إلى أسباب تداولية لا معنوية، وفيه نظر عبد القاهر إلى علاقة المتلقي بالخطاب فإذا قلنا: « زيد قائم وعمرو قاعد » فإن الشخصين في ذهن المتلقي لا يفترقان، فذكر الأول يستدعي

بالضرورة ذكر الثاني، كما أنه لا يمكن معرفة الأول إلا بمعرفة الثاني، أيْ إنَّ معرفة القيام مرهونة بمعرفة القعود. وبما أن اقتران الأشخاص يختلف باختلاف المتلقين فإن التضام النفسي خاص، في حين أن التضام العقلي عام.

- ❖ **قياس العطف على الشرط والجزاء**: وهو العطف بين جملتين مفصولتين عن بعضهما بينهما جملة أو أكثر.

3. **التأكيد**: وهو أحد العلاقات المعنوية التي تقوم بين الجمل التي تشكل الخطاب، فالعطف بين جملتين لا يكون لفظيا(بوساطة أحد حروف العطف) بل يكون بتأكيد جملة لأخرى وهي وسيلة من وسائل التماسك النصي.
4. **صيغة الخطاب**: صيغة الخطاب هي التي تمنحه الوصل أو الفصل، فإذا كانت الصيغة متماثلة كأن تكون حكاية أو خبرا كان الخطاب موصولا، وإن كانت مختلفة كان الخطاب مفصولا مثل:(حكاية / حكاية **أو** خبر/ خبر= خطاب موصول) ـ (حكاية/ خبر **أو** خبر/ حكاية = خطاب مفصول).
5. **الاستفهام المقدر**:إن افتراض سؤال يعني وجود سؤال مقدر، وهو ما يجعل الخطاب مفصولا، والذي يدعو إلى تقدير هذا السؤال هو بناء الخطاب على شكل سؤال مقدر وجواب ظاهر(ينظر مُحَّد خطابي: لسانيات النص- مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 100 وما بعدها).

فإذا تتبعنا المبادئ" التي تحكم وصف وتحليل الجرجاني للفصل والوصل باعتباره إحدى التجليات السطحية/العميقة لانسجام الخطاب واتساقه."(مُحَّد خطابي: لسانيات النص،ص100) وجدناها تقف عند ثلاث محطات أساسية هي:

أ. المستوى التركيبي (النحوي): وتتمثل في القواعد النحوية التي وضعها النحاة.

ب. المستوى الدلالي: ويمثله معنى الجمع والتضام العقلي وقياس العطف على الشرط والجزاء وكذلك التأكيد وصيغة الخطاب.

ج. المستوى التداولي: ويمثل كل ما يتعلق بالمتلقي كالتضام النفسي، وتقدير السؤال.

وهي علاقات تحكم انسجام الخطاب عند عبد القاهر الجرجاني بالإضافة إلى روابط أخرى عدها من مقومات النظم كالتكرار والحذف والتمثيل والكناية والتعريض وغيرها.

تماسك الفصول عند حازم القرطاجني(ت684هـ):

استطاع **حازم القرطاجني** من خلال مؤلَّفه « **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**» أن يرسم أسس التماسك النصي من خلال حديثه عن تماسك فصول القصيدة، وبذلك كان" أول من قسم القصيدة إلى " فصول"... وأول من أدرك الصلة الرابطة بين مطلع القصيدة وما سمَّاه "بالمقاطع" وهو آخرها الذي يحمل في ثناياه الانطباع الأخير والنهائي عن القصيدة."(إبراهيم خليل: الأسلوبية ونظرية النص، ص56).

أيْ إن القصيدة عنده يجب أن يرتبط مطلعها بآخرها حتى تترك انطباعا حسنا في نفس القارئ والسامع.

وهذا يوافق رأي مُحَمَّد خطابي الذي يرى أن حازم القرطاجني يكون أول من بحث في كيفية التماسك النصي بشكل صريح حيث قال:"وأما البحث في الوسائل والعلاقات والكيفية (كيفية التماسك) فلم تظهر إلا في إنتاج حازم النقدي في حدود علمنا... يمكن أن نميز فيما سماه القرطاجني "طرق العلم بإحكام مباني الفصول وتحسين هيئاتها ووصل بعضها ببعض" بين حالتين، تتعلق أولاهما بالفصل وما ينبغي أن يسلك فيه، وقد خصصه بثلاثة قوانين، وتتعلق الحالة الثانية بما ينبغي أن يتبع في ترتيب الفصول بعضها إلى بعض."(مُحَمَّد خطابي: لسانيات النص،ص149- 150).

وهذا لا يعني أنه لم يُتطرق إلى التماسك النصي قبل حازم مطلقاً، بل وحسب اعتقادي أن كل باحث قد تناول فكرة التماسك أو الترابط النصي من وجهة نظره وبالطريقة التي يراها مناسبة تصرحاً أو تلميحاً، لكن الطريقة التي سلكها حازم كانت أكثر منهجية. لقد كان كتابه فعلاً سراجاً لمن رام ولوج عالم النص بمستوياته المختلفة بالإضافة إلى المستوى الجمالي الفني(الإبداعي).

إن القصيدة عند حازم تتألف من أغراض، كما تتألف من فصول ثم إن هذه الفصول تتألف من أبيات، وهو يدعو إلى ارتباط الأبيات داخل الفصل ثم ارتباط الفصول فيما بينها لتجعل الأغراض متماسكة متلاحمة.

والقصائد عنده نوعان: بسيطة ومركبة، وهو يفضل القصيدة ذات الأغراض المتعددة،" فالبسيطة مثل القصائد التي تكون مدحاً صرفاً أو رثاءً صرفاً. والمركبة هي التي يشتمل الكلام فيها على غرضين، مثل أن تكون مشتملة على نسيب ومديح، وهذا أشد موافقة للنفوس الصحيحة الأذواق لما ذكرناه من ولع النفوس بالافتنان في أنحاء الكلام وأنواع القصائد."(حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص303)

فالقصائد الجيدة عنده التي تحظى بالقبول والاستحسان هي التي تتعدد أغراضها وتتفاعل فيما بينها، فيحسن الشاعر الخروج من غرض والدخول إلى آخر دون الفصل بين الأغراض أو إحداث هوة بينها، لأن هذا يترجم قدرة الشعراء على التنقل بين الأغراض المتعددة و"هؤلاء هم المقصّدون من الشعراء المقتدرون على تعليق بعض المعاني ببعض واجتلابها من كل مجتلب."(حازم القرطاجني: المنهاج، ص324).

ولا تتجلى قدرة الشعراء عنده في الربط بين أغراض القصيدة المتعددة، والانتقال من غرض إلى آخر دون عناء، بل الشعراء المجيدون هم الذين يختبرون النفوس ويدركون أنها " تسأم التمادي على حال واحدة وتؤثر الانتقال من حال إلى حال، ووجدوها تستريح إلى استئناف الأمر بعد الأمر واستجداد الشيء بعد الشيء، ووجدوها تنفر من الشيء الذي لم يتناه في الكثرة... اعتمدوا في القصائد أن يقسموا الكلام فيها إلى فصول يُنحى بكل فصل منها منحى من المقاصد ليكون للنفس في قسمة الكلام إلى تلك الفصول... فالراحة حاصلة بها لافتنان الكلام في شتى مذاهبه المعنوية، وضروب مبانيه النظمية."(حازم القرطاجني: المنهاج ص296).

فالأغراض تشكل مجموع الأعضاء أو اللبنات التي تنضوي تحت كيان القصيدة، وهنا تبرز قدرة الشاعر في الربط والتنسيق بين هذه الأغراض وإخضاعها لمسار القصيدة وبالتالي تضعن الأجزاء للكل.ثم نظر إلى ترتيب الكلام وعلاقة بعضه ببعض وتحسين هيئات الفصول، وخصه بثلاثة قوانين شكلت المحور الأول:

القانون الأول وتمحور حول: استجادة مواد الفصول وانتقاء جوهرها

في شرحه لهذا القانون رأى أن تكون مواد الفصول" متناسبة المسموعات والمفهومات حسنة الاطراد غير متخاذلة النسج، غير متميز بعضها عن بعض التميز الذي يجعل كل بيت كأنه منحاز بنفسه لا يشمله وغيره من الأبيات بنية لفظية أو معنوية يتنزّل بها منزلة الصدر من العجز أو العجز من الصدر. والقصائد التي نسجها على هذا مما تستطاب، وينبغي أن يكون نمط نظم الفصل مناسبا للغرض، فتُعتمد فيه الجزالة في الفخر مثلا، والعذوبة في النسيب. وأن تكون الفصول معتدلة المقادير بين الطول والقصر."(حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص288)

فحازم القرطاجني لم يكتف بالحديث عن التلاحم والتماسك بين الفصول والأجزاء فحسب بل تجاوزه إلى الكلام عن مراعاة المقال للمقام، فعلى الشاعر انتقاء الألفاظ والعبارات التي يوظفها حتى لا يذم من حيث يريد أن يمدح، وألاَّ يطغى فصل على فصل. وهنا تبرز قوة الناظم فإذا " كان الشاعر مقتدرا على النفوذ من معاني جهة إلى معاني جهة أو جهات بعيدة منها... بصيراً بأنحاء التدرج من بعض الأغراض والمعاني إلى بعض... قيل فيه إنه بعيد المرامي." وهذا يعني أن يكون للشاعر بعد نظر، ونفاذ بصيرة وبالتالي يحسن التخلص، والانتقال بلباقة وخفة من غرض إلى غرض آخذاً بيد سامعيه نحو الطرب والاستحسان والرضى.

القانون الثاني وتمحور حول: ترتيب الفصول والموالاة بين بعضها البعض

يرتب جازم الفصول انطلاقا من عناية الشاعر بها إذْ " يجب أن يتقدم من الفصول ما يكون للنفس به عناية بحسب الغرض المقصود بالكلام، ويكون مع ذلك متأتيا فيه حسن العبارة اللائقة بالمبدأ ويتلوه الأهم فالأهم إلى أن تتصور التفاتة ونسبة بين فصلين تدعو إلى تقديم غير الأهم على الأهم، فهناك يُترك القانون الأصلي في الترتيب. وتقديم الفصول القصار على الطوال أحسن من أن يكون الأمر بالعكس"(حازم القرطاجني : منهاج البلغاء ...، ص289).

فترتيب الكلمات والأفكار والمعاني من أهم شروط إقناع المتلقي ومن أسس إنتاج الخطاب، ولكي تحتفظ القصيدة بتماسك أجزائها لا بد من العناية بالعناصر المكونة لها لأغراض فنية وتداولية، وهذا ما يبين اهتمام حازم بالمتلقي وشد انتباهه والتأثير فيه.

إذْ يرى أن المتلقي قد تعود تسلسل المعاني فإذا اختل هذا الترتيب كانت مفاجأة له ولهذا " فالذي يجب أن يعتمد في الخروج من غرض إلى غرض أن يكون الكلام غير منفصل بعضه من بعض، وأن يُحتال في ما يصل بين حاشيتي الكلام ويجمع بين طرفي القول حتى يلتقي طرفا المدح والنسيب أو غيرهما من الأغراض المتباينة التقاء محكما. فلا يختل نسق الكلام ولا يظهر التباين في أجزاء النظام."(حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ص 318- 319).

وهكذا نرى أن حازم القطاجني قد أرجع هذا التقسيم (تقسيم القصيدة إلى فصول) إلى شرط الملاءمة بين النص والحالات النفسية التي تعتري المتلقي لأن النفوس تسأم التمادي(كما قال).

إذاً الترتيب عنده يخضع لغرض تداولي وجمالي مثل ما أسلفنا فتقدم من الفصول ما ترغب النفس في سماعه، وتطرب له الأذن وتستأنس به نفوس السامعين، وبالتالي يحقق هذا الترتيب عملية التأثير في

المتلقي. والملاحظ أن حازم القرطاجني لا يتصلب في موقفه من ترتيب الفصول الذي قد تمليه اعتبارات أخرى مثل ظروف المقام والحالة النفسية للمتلقي، لذا فهو يترك الحرية للشاعر فربما يرى رأيا آخر.

القانون الثالث ويتمحور حول: ترتيب ما يقع في الفصول

خُصّ القانون الثالث بتأليف بعض أبيات الفصل إلى بعض ولهذا "يجب أن يبدأ منها بالمعنى المناسب لما قبلهن وإن تأتّى مع هذا أن يكون ذلك المعنى هو عمدة معاني الفصل والذي له نصاب الشرف... على أن كثيرا من الشعراء يؤخرون المعنى الأشرف ليكون خاتمة الفصل."(حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص289).

وقد علّق مُحَمَّد خطابي على هذا القول ورأى أن القرطاجني قد أعطى صفتين للمعنى هما **عمدة معاني الفصل** و**المعنى الأشرف** والعمدة عنده يتخذ كل القطب أو البؤرة وأن بقية المعاني المشكلة للفصل تدور في فلكها، وقد فضل وجوده في بداية الفصل على الرغم من أن بعض الشعراء يؤخرونه.

وما قيل عن العمدة يقال عن الأشرف. وقد استنتج مُحَمَّد خطابي مما قاله القرطاجني أن لكل فصل نواة وأن بقية المعاني تدور في محيطها وتنجذب إليها(ينظر مُحَمَّد خطابي: لسانيات النص،ص154).

ويؤكد حازم القرطاجني بأن الشاعر الذي يردف الأقوال الشعرية بالأقوال الخطابية عليه أن يفتتح الفصل بأشرف معاني المحاكاة ويختمه بأشرف معاني الإقناع، ورأى أنه إلى هذا كان يذهب أبو الطيب المتنبي- رحمه الله – في كثير من كلامه.(ينظر حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء،ص289).

ولهذا عُدَّ الشاعر حكيم وفارس زمانه:

الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني* والسيفُ والرُّمحُ والقِرْطاسُ والقلَمُ**

القانون الرابع: ويُشكل المحور الثاني، تناول فيه: ما يجب أن يُقدم في الفصول وما يجب أن يؤخر فيها وما تُختم به، حيث يكون التأليف في ذلك حسب رأي حازم القرطاجني على أربعة أضرب:

1. ***ضرب متصل العبارة والغرض:***

" هو الذي يكون فيه لآخر الفصل بأول الفصل الذي يتلوه علقة من جهة الغرض وارتباط من جهة العبارة. بأن يكون بعض الألفاظ التي في أحد الفصلين يطلب بعض الألفاظ التي في الآخر من جهة الإسناد والربط."(حازم القرطاجني:المنهاج، ص290)

وهذا الضرب يعني أن يكون بين الفصل الأول والفصل الذي يليه اتصال، حيث تربط بينهما علاقات نحوية(العبارة) وعلاقات دلالية(الغرض) أيْ إن ما يختم به الشاعر فصله الأول يكون له ارتباط وثيق بما يستهل ويفتتح به فصله التالي سواء من جهة الإسناد أو من جهة الربط.

وهذه العلاقة هي التي يطلق عليها البلاغيون لفظ **التضمين** ويُعد عند كثير من النقاد من عيوب الشعر ما عدا ابن الأثير الذي كان له رأي آخر في ذلك، إذْ رأى أن هناك التضمين الحسن والتضمين المعيب. ويكون التضمين الحسن على وجهين: تضمين كلي، وتضمين جزئي. وأما التضمين المعيب فهو تضمين الإسناد ويقع بين بيتين من الشعر أو فصلين من النثر على أن يكون الأول منهما مسندا إلى الثاني وبالتالي يرتبط معنى الأول بمعنى الثاني.

وابن الأثير لا يرى ذلك عيبا إذْ يستشهد بقوله تعالى:﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ، قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ، يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ المصَدِّقِينَ، أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً إِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾الصافات50 ...53. ويرى أن هذه الآيات ارتبط بعضها ببعض فلا يمكن فهم الآية السابقة إلا بالرجوع إلى الآية اللاحقة، ولو كان عيباً لما جاء في كلام الله تعالى.

ويعزز ذلك بما جاء في سورة الشعراء حيث يقول الله تعالى:﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ أَمْتَعْنَاهُمْ سِنِين، ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُون، مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُون﴾الشعراء205- 207. حيث لا يمكن فهم الآية الأولى ولا الثانية إلا بوجود الثالثة، لأن الأولى جاءت في معرض استفهام، والثانية وردت في حكم الأولى، وجواب الاستفهام جاء في الآية الثالثة، ولو بترنا الآية لكان الكلام ناقصا. كما جاء هذا النوع من التضمين في قول امرئ القيس وهو من فحول الشعراء، وذلك في قوله:

فَقُلْتُ لَـــهُ: لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ * وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَـــــلِ**

أَلاَ أَيُّها اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلاَ انْجَلِ * بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ**

فلا يمكن فهم البيت الأول إلا بقراءة البيت الثاني، لأنه مقول القول (ينظر ابن الأثير:المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص287...289). أيْ إن نص القول أو فحواه يوجد في البيت الثاني، فإذا اكتفينا بقراءة البيت الأول ألفينا المعنى غير تام.

2. ***ضرب متصل الغرض منفصل العبارة:***

" فهو الذي يكون أول الفصل فيه رأس الكلام، ويكون ذلك الكلام علقة بما قبله من جهة المعنى." (حازم القرطاجني: منهاج البلغاء ، ص291).فالارتباط والتماسك بين الفصول يكون دلاليا في الوقت الذي تغيب فيه الروابط الشكلية، والعلاقة في هذا الضرب بين الفصول تكون معنوية، كأن يكون معنى الفصل الثاني يمثل جزءً من معنى الفصل الأول الذي يكون شاملا أو العكس، مع غياب الروابط الشكلية بين الفصول.

3. ***ضرب متصل العبارة منفصل الغرض:***

يكون على خلاف الضرب السابق، فالاتصال بين الفصول يتم عن طريق الروابط الشكلية دون الروابط المعنوية، ولهذا جعله حازم القرطاجني دون النوع الأول والثاني وقال فيه:" فأما الضرب الثالث « وهو ما كان منفصل الغرض متصل العبارة »، فإنه منحطٌّ عن الضربين اللذين قبله..." (حازم القرطاجني: المنهاج،291).وهذا ما يجعلنا نستنتج بأنه يفضل التماسك المعنوي لما له من علاقات عميقة بين الفصول التي تشكل النص(القصيدة)، ويرفض القصيدة المفككة دلاليا، لأنها في نظره تصبح بلا معنى.

4. ***ضرب منفصل الغرض منفصل العبارة:***

في هذا الضرب تنعدم الروابط الشكلية والروابط المعنوية،" فلا توصل فيه عبارة بعبارة ولا غرض بغرض مناسب له، بل يهجم على الفصل هجوما من غير إشعار به مما قبله ولا مناسبة بين أحدهما والآخر، فإن النظم الذي بهذه الصفة متشتت من كل وجه، وإنما تسامح بعض المجيدين في مثل هذا عند الخروج من نسيب إلى مديح، وربما فعلوا ذلك عند خروجهم منه إلى الذم."(حازم القرطاجني:المنهاج،ص291).

هذا النوع من النصوص لا توجد فيه روابط كما قلنا لا شكلية ولا معنوية، إنْ على مستوى العبارة أو على مستوى الغرض، ولهذا احتل آخر درجات التصنيف عند حازم القرطاجني. ومثَّل حازم القرطاجني لتماسك الفصول بكافورية المتنبي:

أغالب فيك الشوق، والشوقُ أغْلبُ * وأعجبُ من ذا الهجر والوصلُ أعجبُ**

ورأى أن حسن الاطراد إنما يجد صدى في نفس المتلقي قارئا كان أو سامعا فقال:" فاطرد له الكلام في جميع ذلك أحسن اطراد وانتقل في جميع ذلك من الشيء إلى ما يناسبه وإلى ما هو منه بسبب ويجمعه وإياه غرض. فكان الكلام بذلك مرتبا أحسن ترتيب، ومفصلا أحسن تفصيل، وموضوعا بعضه من بعض أحكم وضع."(حازم القرطاجني: المنهاج299).

هذا القول يكشف بوضوح عناية حازم القرطاجني بانسجام النص(القصيدة) وتسلسل فصولها تسلسلا منطقيا. يبدأ هذا التسلسل بمطلع القصيدة ليصل إلى خاتمتها.

ومن هنا أشاد بحسن التخلص، والعناية بمطلع النص وخاتمته، وأطلق عليهما مصطلحي **التسويم** و**التحجيل** فقال:" ولما كان اعتماد ذلك في رؤوس الفصول ووجوهها أعلاما عليها وإعلاما بمغزى الشاعر فيها، وكان لفواتح الفصول بذلك بهاء وشهرة وازديان حتى كأنها بذلك ذوات غرر رأيت أن أسمي ذلك بالتسويم... وأيضا فإنَّا سمّينا تحلية أعقاب الفصول بالأبيات الحكمية والاستدلالية بالتحجيل، ليكون اقتران صنعة رأس الفصل وصنعة عجزه نحواً من اقتران الغرة بالتحجيل في الفرس."(حازم القرطاجني: المنهاج297).

إن هذه الأفكار والآراء التي ازدان بها « منهاج البلغاء وسراج الأدباء » جعلت مُحَّد خطابي يعتبره أول من تطرق إلى التماسك النصي بوضوح وبصورة جدية، فقد أحاط بكل أجزاء القصيدة، وقدم وصفا مفصلا لكيفية تماسك النص الشعري القديم. كما اهتم ببداية النص وخواتمه دون إهمال صلب النص، أيْ إنه قد نظر إلى النص نظرة كلية، وقعّد للترابط والتماسك النصي، فوضع منهاجا يُتبع للشعراء، وأنار درب الأدباء والبلغاء.

التماسك النصي عند علماء التفسير:

شكلت نصوص التفسير مقاربة للغة النص الديني(القرآن الكريم) وفي هذه المقاربة تجلت قدرة العديد من المفسرين الذين جمعوا بين علم اللغة وعلوم الدين أمثال فخر الدين الرازي والزركشي والسيوطي وغيرهم. وعندما نتحدث عن" النص في الثقافة العربية الإسلامية، فإننا نتحدث عن البؤر الدلالية التي تستجمع المعنى وتجعل منه نواة لتوليد المعاني الأخرى."(عمارة ناصر:اللغة والتأويل- مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي،ص112).

لقد مثَّل النص القرآني بما حمله من إعجاز أوج نضج اللغة العربية واكتمال معانيها حتى قال فيه الوليد بن المغيرة لما سمعه:« إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر»**فكيف نظر علماء التفسير إلى النص القرآني؟**

النظرة الكلية للنص القرآني:

نظر المفسرون إلى القرآن نظرة كلية شاملة، فهو نص واحد ينبئ أوله عن آخره في انسجام تام، إذْ ضُمت سوره الواحدة إلى الأخرى كما ضمت آياته لتشكل بذلك نصاً متكاملا بدءً من سورة الفاتحة التي سميت أمُّ الكتاب وأمُّ القرآن، كما ثبت في الصحيح عن الترمذي وصححه عن أبي هريرة(ض) قال: قال رسول الله ﷺ:"﴿**الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ**﴾**أمُّ القرآن وأمُّ الكتاب والسبع المثاني والقرآن العظيم**". وسميتْ **سورة الحمد وسورة الصلاة، والشفاء، والرقية والواقية والكافية والكنز** وغيرها. وذكر فخر الدِّين الرازي عدة أسباب لتسميتها أمّ القرآن وأمّ الكتاب منها: إن أمَّ الشيء أصله والمقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة هي:

1. **الإلهيات** فقوله تعالى:﴿ الحمدُ لله ربّ العالمين، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يدل على أن الله واحد مالك كل شيء تنزه وتعالى كتب على نفسه الرحمة.
2. **المعاد** في قوله:﴿ملك يوم الدين﴾ أو ﴿مالك يوم الدين﴾في قراءة حفص فهو الملك القدوس الذي يرث الأرض ومن عليها، وإليه النشور.
3. **إثبات القضاء والقدر لله تعالى** في قوله: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ فهذا إثبات على أن كل شيء بقضاء الله وقدره.
4. **النبوَّات** في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ المسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ولاَ الضَّالِين﴾ كما دلَّ على إثبات القضاء والقدر لله دلَّ على النبوات كذلك بذكر اليهود

والنصارى الذين حرفوا التوراة والإنجيل وعصوا رسلهم. فلما كان المقصد الأعظم من القرآن الكريم هذه المطالب، والمحطات الأربع قد اشتملت عليها سورة الفاتحة سميت «أمُّ القرآن».(ينظر تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج1، ص164. وينظر تفسير ابن كثير، ج1، ص ص9- 10).

فآيات القرآن الكريم من البقرة إلى الناس تدور في فلك مضمون هذه السورة أيْ سورة الفاتحة، فهي محل تجميع المعنى وهي النواة أو المركز ولهذا أطلق عليها بعض المفسرين اسم **الأساس** فكما لا يصح البناء إلا به فإن الصلاة لا تتم إلا بها.

ويذكر جلال الدين السيوطي في كتابه « أسرار ترتيب القرآن » قولا للطيبي(هو الحسين بن عبد الله بن مُحَمَّد الطيبي أحد كبار علماء الحديث والتفسير واللغة توفي عام743هـ) يقول: " وجميع القرآن تفصيل لما أجملته الفاتحة، فإنها بُنِيَت على إجمال ما يحويه القرآن مفصلا، فإنها واقعة في مطلع التنزيل، والبلاغة فيه: أن تتضمن ما سبق الكلام لأجله."(جلال الدين السيوطي: أسرار ترتيب القرآن، ص75).

إن النص المثبت بوساطة الكتابة يفترض في هذا التثبيت وجود قدر من البنيات للحصول على المعنى، وهذا يعني أن هناك انتظاما لوحدات أو بنيات اللغة حتى نحصل على معنى ما. وقد لاحظ غادمير Gadamer أن كل خطاب ثابت هو نص، فالنص هو هذا الشيء الثابت المستقر في ذاته بوساطة الثبات الداخلي لبنيته

Voir :(Gadamer. Hans-Georg : L'Art de comprendre, p 260)

والقرآن الكريم قد تمَّ تثبيته بوساطة الكتابة في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ثم جُمع في مصحف واحد في عهد أبي بكر الصديق ﷺ، ونسخ في سبعة مصاحف في عهد عثمان بن عفان ﷺ. ثُمَّ إن الآليات التي منحته التماسك والتلاحم تكمن في آياته وسوره التي تصب كما ذكر الرازي في الإلهيات والمعاد والنبوات وإثبات القضاء والقدر لله وحده.

نستنتج أن النص القرآني يمثل وحدة متكاملة متماسكة، وسورة الفاتحة فيه بمثابة حجر الزاوية، وما التذكير في كل ربع من هذا الكتاب المقدس بعبارة(**الحمد لله**) إلا دليل قاطع على وحدة هذا النص الكامل الشامل المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وصور التماسك في القرآن لم يقف عند الدلالة فقط بل هو تماسك نتج عن روابط شكلية وروابط غير شكلية.

المناسبة أو التناسب عند المفسرين:

بحث علماء التفسير في المناسبة بين الآية والآية وبين السورة والسورة للبرهنة على تماسك النص القرآني، وفي بحثهم هذا لجأوا إلى أسباب النزول تارة وإلى شرح الآيات تارة أخرى، ووجدوا أن القرآن الكريم في مدة نزوله الطويلة (في ثلاث وعشرين سنة) بين مكة والمدينة والطائف وأماكن أخرى شكل نصا واحدا منسجما ومتماسكا وكأنه نزل دفعة واحدة وفي مكان واحد.

ونظرية المناسبة أو علم المناسبة كما يسميه البعض ترتبط بقضية الإعجاز لأنها بحث في آليات النص التي تجعل منه نصاً متميزاً ومختلفاً عن بقية النصوص، وتجعله يسمو ويعلو عليها ويفوقها. ولئن اعتمد المفسرون في بحثهم عن المناسبة بين الآيات والسور القرآنية على أسباب النزول والشرح المطول، فإن الفرق واضح وجلي بين المناسبة وأسباب النزول ذلك أن الفارق" بين علم المناسبة وعلم أسباب النزول فارق بين درس علاقات النص في صورتها الأخيرة النهائية، وبين درس أجزاء النص من حيث علاقاتها بالظروف الخارجية أو السياق الخارجي لتكوّن النص وتشكيله إنه بعبارة أخرى فارق بين البحث عن جماليات النص وبين البحث في دلالة النص عن وقائع خارجية."(نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص،ص160)

والبحث في أسباب النزول يعتمد أساسا على معرفة الوقائع التاريخية والظروف الاجتماعية والأخلاقية والسياسية والعقائدية للفترة التي نزل فيها الوحي، وهذه الوقائع والظروف قد تفتقر إلى التسلسل، في حين أن المناسبة بين الآيات والسور" تقوم على أساس أن النص وحدة بنائية مترابطة الأجزاء. ومهمة المفسِّر اكتشاف هذه العلاقات أو المناسبات الرابطة بين الآية والآية من جهة وبين السورة والسورة من جهة أخرى.

وبديهي أنّ اكتشاف هذه العلاقات يعتمد على قدرة المفسِّر على نفاذ بصيرته في اقتحام آفاق النص"(نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص، ص160) إن نظرية المناسبة تنطلق من مسلمة مفادها أن النص وحدة مترابطة الأجزاء، متسقة ومنسجمة، وهي(المناسبة) كما قال عز الدين بن عبد السلام(577ـ 660هـ) علم حسن إلا أنه يُشترط في حسن ارتباط الكلام أن يكون أوله مرتبط بآخره حيث لا انفصام ولا انقطاع بين أجزائه(ينظر الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص37).

وتكون المناسبة بين الآيات كما تكون بين السور وهي دليل قاطع على معجزة هذا النص. فقد وجد المفسرون أثناء تناولهم لقضية المناسبة أن هناك:

1. التناسب بين آي القرآن الكريم:

لقد وُضعت الآيات في صورتها المحكمة في نسج متين، بحيث تمهد الآية السابقة للآية اللاحقة، وتدعم الآيات اللاحقة السابقة عليها لتجعل منها بناءً متراصاً بغض النظر عن كونها آيات مكية أو مدنية، وهذه معجزة من المعجزات الإلهية التي ينأى العقل البشري عن إدراك كنهها. وقد قسم الزركشي هذا التناسب أو ارتباط الآيات بعضها ببعض إلى قسمين:

- ✓ قسم يقوم على العطف فتكون الآية اللاحقة معطوفة على السابقة.
- ✓ قسم لا تكون الآية فيه معطوفة على الأخرى بل يتم الربط بينهما بوساطة قرائن معنوية. ففي الأولى تكون الروابط شكلية تمثلها حروف العطف، وفي الثانية تكون الروابط معنوية تُدرك بالقرائن المعنوية.

وقد يأخذ التناسب أشكالا أخرى ذكرها جلال الدين السيوطي في مؤلَّفه "الإتقان في علوم القرآن"، منها:

1. ***التنظير***: ويقصد به إلحاق النظير بالنظير كما جاء في قوله تعالى:﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ المؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾الانفال05. فهذه الآية أعقبت قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ المؤْمِنُونَ حَقاً لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾الأنفال04. والقصد أن كراهة الذين حاجوا النبي عليه الصلاة والسلام في الأنفال يوم بدر ككراهتهم للخروج معه. فالتنظير هي المناسبة التي جعلت الآية الخامسة تجاور الآية الرابعة.
2. ***المضادة***: يكون محتوى الآية اللاحقة عكس السابقة ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الذينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمُ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤمِنونَ﴾البقرة 06. فالحديث في هذه الآية خصه الله تعالى للكفار وهو عكس الآية الخامسة التي خص فيها الذين آمنوا بما أنزل الله.
3. ***الاستطراد***: هو العدول عن الكلام والخروج إلى كلام آخر ثم العودة إلى الأول.
4. ***التخلص إلى الغرض***: إن الحديث عن الاستطراد يقودنا بلا شك إلى الحديث عن التخلص إلى الغرض لأنهما يرتبطان ببعضهما، وفي ذلك يقول عبد الله الزركشي:"... يظهر لك اشتمال القرآن العظيم على النوع المسمى التخلص(ذكر عند حازم القرطاجني) ومن أحسن أمثلته قوله تعالى: ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ المِصْباحُ في زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِيٌّ . يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ

يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾النور35. فيها خمس تخلصات: وذلك أنه جاء بصفة النور وتمثيله، ثم تخلص منه إلى ذكر الزجاجة وصفاتها، ثم رجع إلى ذكر النور... ثم تخلص منه إلى ذكر الشجرة، ثم تخلص من ذكرها إلى صفة الزيت... ثم تخلص منه إلى نِعَم الله بالهدى على من يشاء."(الزركشي:البرهان في علوم القرآن،ص43).

إلى جانب ذلك يطالعنا حديث العلماء العرب عن التكرار والدور الذي يلعبه في بناء النص وتماسكه، وقد جعله باحثو علم النص من بين وسائل الاتساق والانسجام. إلا أن القدامى ركزوا على ظاهرة التكرار في القرآن الكريم(على اعتبار أن كل الدراسات تقريبا تهدف إلى غاية واحدة وهي محاولة فهم النص القرآني). وما يمكن استنباطه من حديث كثير من الباحثين أن هدف القدامى من تناول قضية التكرار ليس البحث اللغوي في حدِّ ذاته وإنما جاء في سياق الدفاع عن بلاغة القرآن الكريم من جهة وبلاغة النصوص العربية من جهة أخرى. فقد عَدَّ السيوطي التكرار من محاسن الفصاحة عن العرب وامتلاكهم القدرة على التعبير البليغ، ولهذا كان القرآن الكريم معجزة الرسول عليه الصلاة والسلام لأن الله تعالى تحدى فصحاء العرب.

2. التناسب بين السور القرآنية:

إذا كانت الآيات مكملة لبعضها البعض أيْ إن الآية السابقة تسلمنا إلى الآية اللاحقة رغم اختلاف الأماكن والأزمنة التي نزلت بها فإن السور كذلك متصلة ومكملة لبعضها البعض، ففي قوله تعالى:﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ وَقِيلَ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾الزمر75، فإنه مناسب لما جاء في غافر فالله ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ﴾غافر03. ذلك أن الله ربّ العالمين هو غافر الذنب وقابل التوب وإنه شديد العقاب. وافتتاح سورة الحديد بالتسبيح مناسب لختام سورة الواقعة من أمر(البرهان للزركشي،ص32).

فهذا التناسب يدل بوضوح على أن القرآن الكريم بنيان مرصوص ويعلل جلال الدين السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن لافتتاح سورة الإسراء بالتسبيح وسورة الكهف بالتحميد بأن التسبيح حيث جاء فهو مقدَّم على التحميد(**سبحان الله والحمد لله**).

3. التناسب في مقاطع الفواصل:

وهو إيقاع يؤثر في النفس ويشد السامع فيذعن خاشعاً، ويدل دلالة واضحة على اعتدال نسق الكلام ونظمه وحسن وقعه في أذن السامع، ويكون هذا النظم:

1. بزيادة حرف لتتناسب نهايات الفواصل كما في قوله تعالى: ﴿وَأَطَعْنَا الرَّسُولا﴾و﴿فَأَضَلُونَا السَّبِيلا﴾الأحزاب 66،67.(بزيادة الألف في الرسولَ والسبيلَ)
2. بحذف حرف كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾، ﴿فَيَقُولُ رَبِّيَ أَكْرَمَنِ﴾﴿فَيَقُولُ رَبِّيَ أَهَانَنِ﴾الفجر16،15،04، فإذا شرطية غير جازمة ولكن حذفت ياء الفعل(يسري)، كما حذفت ياء المتكلم في(أكرمني وأهانني) لكي تتناسب الفواصل.
3. الجمع بين المجرورات كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا به تَبِيعاً﴾الإسراء69، حيت جمع بين الجار والمجرور(علينا) و(به) مع تأخير(تبيعاً) لأن الفواصل كانت منصوبة فأخرت اللفظة لتناسب الفاصلة.
4. تأخير ما من حقه التقديم كقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ في نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾طه67، فالأصل في ترتيب الجملة الفعلية أن يأتي الفعل ويليه الفاعل ثم المفعول، لكن الذي حدث هو تأخير الفاعل(موسى) مراعاة للفاصلة وحفاظا عليها.
5. إفراد ما كان يجب أن يجمع مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾القمر54، قال الفرّاء: إن الأصل أنهاراً وحتى تتناسب الفواصل أفردها، فقال:" نَهَر"
6. تأنيث ما أصله أن يذكر كقوله تعالى:﴿كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴾المدثر54، وذلك حتى تناسب الفاصلة (مستنفرة) و(قسورة) و(منشرة) و(الآخرة) فجاءت(تذكرة).
7. تصريف ما لا ينصرف مثل قوله تعالى:﴿ وَيُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كانَتْ قَوَارِيراً، قَوَارِيراً مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ﴾الإنسان16،15، فلفظة(قوارير) ممنوعة من الصرف وبالتالي لا تنوَّن.
8. إمالة ما أصله ألا يُمال كإمالة الألف في قوله تعالى:﴿وَالضُّحى، وَاللَّيْلِ إِذاَ سَجى﴾الضحى02،01، وذلك حتى يُشاكل التلفظ بهما مع ما بعدها.
9. العدول عن صيغة الماضي إلى المضارع كقوله تعالى:﴿فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾البقرة87، فقد انتقل من الماضي(كذبتم) إلى الاستقبال(تقتلون).

10. جمع ما أصله أن يفرد كقوله تعالى:﴿لا بَيْعٌ فِيهِ ولا خِلالٌ﴾إبراهيم 31. والمراد(خُلَّةٌ) وذلك حتى تتناسب رؤوس الآيات(ينظر الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص60 إلى67) والحقيقة أن الحديث عن المناسبة والتناسب لم يقف عند هذا الحد بل تجاوزه إلى أبعد من ذلك ، ضيق المقام عن الذكر.

وخلاصة القول فإن سور القرآن الكريم وآياته قد التحمت وتضافرت لتشكل كلاً متكاملا تحدى به الله فصاحة العرب وقدرتهم على البيان، فلو اجتمعت الإنس والجن على الإتيان بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله. فهو نص فريد من نوعه انسجمت آياته وتماسكت سوره بروابط إما شكلية كالروابط النحوية والروابط المعجمية مثل التكرار والتوازي والإحالة، أو بروابط معنوية وعلاقات ضمنية تدرك بالعقل وإعمال الفكر لأن القرآن يدعو إلى التدبر ومن هذه العلاقات تفصيل المجمل والتلازم والتشبيه والاشتراك وغيرها.

لقد كان للحديث عن التماسك النصي غاية نقدية تتجلى في تمييز النصوص الجيدة من غيرها، حتى يسلك المتأخر سبيل المتقدم ممن أجاد من الشعراء والكتَّاب.كما انصب الاهتمام أيضا على البحث في أسرار الإعجاز القرآني، فأبدعوا في ذلك وأجادوا ووصلوا إلى البرهنة على إعجاز هذا الكتاب المنزه عن الخطأ. فقد كان القدامى في **تفكيرهم اللساني** قد تجاوزوا كما رأينا حدود الجملة ونظروا إلى القرآن الكريم على أنه نص متماسك متكامل، فإن ما قدموه خارج حدود هذا الكلام المقدس المعجز لم يكن دراسة معمقة في التماسك النصي. وتمييزهم للنصوص الجيدة والنصوص الرديئة،

والبحث عن النص الذي يتميز بجودة السبك يُعدّ بداية حميدة إلا أن التنظير قد فاق التطبيق. ولعل ما قام به الجاحظ (ت255هـ) وابن طباطبا(ت322هـ) وابن جني(ت392هـ) وابن رشيق(ت456هـ) وعبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) وفخر الدين الرازي(ت606هـ) وابن الأثير(ت637هـ) وحازم القرطاجني(ت684هـ) والزركشي(ت794هـ) والسيوطي(ت911هـ) وغيرهم كثير لا يسع المقام لذكرهم يقترب إلى حدٍّ ما من التطبيق الإجرائي لبعض أسس التماسك النصي. ويتضح ذلك جليا من خلال ما ذكرناه من آراء هؤلاء العمالقة.

بعد هذه الجولة في رحاب اللسانيات النصية أدركنا أنه علم براغماتي، تصب فيه كل علوم اللغة، ويستعين بالعلوم الأخرى ،هدفه البحث عن اتساق النصوص/الخطابات وانسجامها. وبأيّ السُّبُل

وصل المحلل إلى ذلك كان الأنسب لأن ما ذُكِر من وسائل وآليات ما هي إلا أدوات مساعدة تأخذ بيد هذا المحلل أو ذاك للوصول إلى التماسك الذي يشد أزر النص، ويربط بين أجزائه عن طريق الوسائل اللغوية التي تحقق نصية نص ما عن طريق أدوات الاتساق. فإن عجزت هذه الأدوات اللغوية، وافتقر النص إلى الاتساق وضعُفتْ نصيته لجأ المحلل إلى آليات الانسجام يستقي منها ليرمم ما اختلَّ. وبهذا تتضاعف جهود المحلل في محاولته الوصول إلى فهم النص متكئاً على التأويل والمعرفة الخلفية وملء الفراغات للوصول إلى البنية الكلية للنص.

واستناداً إلى ما ذُكِر تُعَدُّ لسانيات النص نظرية ومنهجا متكاملان جمع بين المنهج البنيوي والسيميائي والأسلوبية والتفكيكية ونظرية القراءة والتلقي. سلاح الباحث فيه كل ما هو علمي وإبداعي،يلج من خلاله عالم المنطوق والمكتوب. قال أحمد مداس في خاتمة كتابه: لسانيات النص- نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، ص316:"لقد تأكد عندي صلاحية اللسانيات للتحليل فهو منهج يمزج بين العلمية والشعرية، ويجعل النص/الخطاب محور البحث، ويحقق منه الرسالة ودلالة الإخبار كما يُعيِّن طرفيْ التخاطب ومقامه ووضعه، و يُمَنطِق بعلميته الأفعال ويصور عالم الخطاب". وهكذا تكون لسانيات النص لبنة تضاف إلى صرح العلوم التي لا تعرف الجمود ولا الخمول. وقد تميز هذا العلم بحداثته مما أدى إلى ظهور العديد من المصطلحات التي ازدانت البحوث اللسانية بها، وكان من بين أهم هذه المصطلحات (الاتساق) و(الانسجام) اللذين احتلا موقعا مركزيا في الدراسات النصية. وقد عرف بذلك تحليل النصوص منعطفاً جديداً. وما دامت اللغة أصوات كما قال ابن جني، فإن النحو يتدخل بوظائفه وبقوة لتنظيم هذه الأصوات سواء كانت مكتوبة أو منطوقة.

وتدرجت الدراسات ليصبح النص فيها الشغل الشاغل لعلماء اللغة لأنه الوسيلة التي ينقل من خلالها المرسل أفكاره محاولا إيصالها إلى المتلقي.

وحتى يتسنى له ذلك عليه أن يلتزم بقواعد وشروط إنتاج النصوص كالاهتمام بالبنية لأنها تعدُّ الكل المتكامل المتفاعل الذي يؤدي الوظيفة الاتصالية وفق سياق معين، ولكي يؤدي النص غرضه لا بد أن تتوفر فيه أدوات ووسائل الاتساق وكذا آليات الانسجام.

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

ثبت المصادروالمراجع

1. إبراهيم خليل: **الأسلوبية ونظرية النص**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 1999.
2. إبراهيم خليل:**نظرية الأدب وعلم النص- بحوث وقراءات**- الدار لعربية للعلوم ناشرون، بيروت، ومنشورات الاختلاف، الجزائر،2010.
3. أحمد درويش: **دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.
4. أحمد عفيفي: **نحو النص - اتجاه جديد في الدرس النحوي**، مكتبة زهراء الشرق، مصر، 2001.
5. أحمد مداس: **لسانيات النص- نحو منهج لتحليل الخطاب**، عالم الكتب الحديث،إربد، الأردن، 2007.
6. إدريس مقبول: **الأفق التداولي - نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية**، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2011.
7. الأزهر الزناد: **نسيج النص – بحث في ما يكون به الملفوظ نصا**، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993.
8. إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد: **مدخل إلى علم لغة النص**(تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند ولفجانج دريسلر)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999.
9. بروان(ع.ب) ويول(ج): **تحليل الخطاب**، ترجمة: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، 1997.
10. تمام حسان: **البيان في روائع القرآن**... ،ج 1و2،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،2002.
11. تمام حسان: **مناهج البحث في اللغة**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1979.
12. تون فان دايك: **النص والسياق- استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي**، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، بيروت،2000.
13. تون فان دايك: **علم النص- مدخل متداخل الاختصاصات**، ترجمة: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، 2001.
14. جلال الدين السيوطي: **أسرارترتيب القرآن**، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، ودار النصر للطباعة الإسلامية، مصر، ط2. 1978.
15. جلال الدين السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، عناية خالد العطار، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، 2010.

16. جلال الدين السيوطي: **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، تحقيق علي محمد النحاوي، دار الفكر العربي، القاهرة،1973.
17. جميل عبد المجيد: **البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006.
18. جوليا كيستيفا: **علم النص**، ترجمة: فريد الزاهي، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2. 1997.
19. حازم القرطاجني(أبو الحسن): **منهج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار المغرب الإسلامي، لبنان، ط2. 1981.
20. حسام أحمد فرج: **نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري**، مكتبة الآداب، القاهرة 2007.
21. الحسن أبو علي بن رشيق القيرواني: **العمدة في محاسن الشعروآدابه ونقده**، تحقيق: صلاح الدين الهواري وهدى عودة، الجزء1. دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1996.
22. الحسن أبو هلال بن عبد الله العسكري: **كتاب الصناعتين**، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1989.
23. خليفة بوجادي: **في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم**، بيت الحكمة، الجزائر، 2009.
24. خليل أحمد عمايرة: **في نحو اللغة وتراكيبها- منهج وتطبيق**، عالم المعرفة، جدة، 1984.
25. خليل بن ياسر البطاشي: **الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب**، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، 2009.
26. ديان ماكدونيل: **مقدمة في نظريات الخطاب**، ترجمة: عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، مصر، 2001.
27. روبرت دي بوجراند: **النص والخطاب والإجراء**، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة 1998.
28. رولان بارت: **لذة النص**، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، دمشق، ط2، 2002.
29. زتسيسلاف واورزنياكZ.Wawrzynlak: **مدخل إلى علم النص**- مشكلات بناء النص، تر. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنش والتوزيع، ط2، القاهرة، 2010.
30. سعيد حسن بحيري: **دراسات لغوية وتطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة**، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1999.
31. سعيد حسن بحيري: **علم لغة النص - المفاهيم والاتجاهات**، الشركة المصرية العالمية، لونجمان 1997.
32. سعيد حسن بحيري: **علم لغة النص - المفاهيم والاتجاهات**، مؤسسة مختار للنشر و التوزيع، ط2 القاهرة، 2010.

33. سعيد يقطين: **انفتاح النص الروائي – النص والسياق**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط2. 2001.
34. سعيد يقطين: **من النص إلى النص المترابط - مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي**، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2005.
35. صالح بلعيد: **التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.
36. صبحي إبراهيم الفقي: **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق**، الجزء 1 و 2، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 2000.
37. صلاح فضل: **بلاغة الخطاب وعلم النص**، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني بيروت، 2004.
38. ضياء الدين بن الأثير:**المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تح.كامل محمد عويضة، ج2، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998.
39. عادل مناع: **نحو النص - اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية**، مصر العربية والنشر والتوزيع، القاهرة، 2011.
40. عبد الجليل مرتاض: **الوظائف النحوية في مستوى النص**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2011.
41. عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة – من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، الكويت، 1990.
42. عبد القاهر الجرجاني: **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تعليق: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط3. 2001.
43. عبد الله الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، 1988.
44. عبد المالك مرتاض: **نظرية النص الأدبي**، دار هومة، الجزائر، 2010.
45. عبد المجيد زراقط: **النص الأدبي ومعرفته**، دائرة المنشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، 2008.
46. عبد الهادي بن ظافر الشهري: **استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004.
47. عبد الواسع الحميري: **الخطاب والنص - المفهوم و- العلاقة - السلطة**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 2008.
48. عبد الواسع الحميري: **في الطريق إلى النص**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،2008.
49. عثمان أبو الفتح بن جني: **الخصائص**، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
50. عماد الدين الحافظ بن كثير: **تفسير ابن كثير**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر،ج6، 1990.

51. عمارة ناصر: **اللغة والتأويل مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي**، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الفارابي، بيروت، 2007.

52. عمر أبو خرمة: **نحو النص نقد نظرية وبناء أخرى**، عالم الكتب الحديث، اربد،الأردن،2004 و2006.

53. عمرو بن بحر الجاحظ: **البيان والتبيين**، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2003.

54. عمرو بن بحر الجاحظ: **الحيوان**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، لبنان ط3. الجزء2،3. 1969.

55. عمرو بن عثمان أبو بشر سيبويه: **الكتاب**، علق عليه ووضع حواشيه، إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999.

56. فتحي رزق خوالدة: **تحليل الخطاب الشعري ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان أحد عشر كوكبا** لمحمود درويش،أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006.

57. فولفجالجهاينة من وديتر فيهفيجر: **مدخل إلى علم اللغة النصي**، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع، الرياض، 1996.

58. كلاوس برينكر: **التحليل اللغوي للنص- مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج**- تر. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة،2005.

59. لطفي فكري محمد الجودي: **النص الشعري بوصفه أفقا تأويليا**، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة،2011.

60. محمد أبو الحسن بن طباطبا: **عيار الشعر**، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية،1965.

61. محمد أبو العباس يزيد المبرد: **المقتضب**، تحقيق: عبد الخالق عضمة، عالم الكتب، بيروت، الجزء4.(د.ت).

62. محمد الأخضر الصبيحي: **مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه**، منشورات الاختلاف، الجزائر 2008.

63. محمد الصغير بناني: **النظرية اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

64. محمد الصغير بناني:**المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة**،دارالحكمة، الجزائر، 2001.

65. محمد العبد: **النص والخطاب والاتصال**، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، 2005.

66. محمد العيد: **اللغة والإبداع الأدبي**، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، 1989.

67. محمد حماسة عبد اللطيف: **الإبداع الموازي- التحليل النصي للشعر**، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة، 2001.

68. محمد عبد اللطيف حماسة: **النحو والدلالة- مدخل لدراسة المعنى النحوي- الدلالي**، دار الشروق القاهرة، 2000.

69. محمد خطابي: **لسانيات النص- مدخل إلى انسجام الخطاب**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006.

70. محمد صابر عبيد: **القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2001.

71. محمد عباس: **الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني(دراسة مقارنة)**، دار الفكر المعاصر، بيروت،1999.

72. محمد فخر الدين الرازي: **تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، إشراف مكتب التوثيق والدراسات، دار الفكر، بيروت، 2005.

73. محمد مفتاح: **تحليل الخطاب الشعري- استراتيجية التناص**- المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب وبيروت، ط3. 1992.

74. مسعود صحراوي: **التداولية عند العلماء العرب**، دار الطليعة، بيروت،2005.

75. مصطفى النحاس: **نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب**، مكتبة ذات السلاسل، الكويت، 2001.

76. منذر عياشي: **العلاماتية وعلم النص**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2004.

77. نصر حامد أبو زيد: **مفهوم النص - دراسة في علوم القرآن**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المعرب، بيروت، لبنان ط7. 2008.

78. نعمان بوقرة: **المدارس اللسانية المعاصرة**، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ت).

79. وليد قصاب: **مناهج النقد الأدبي الحديث – رؤية إسلامية**، دار الفكر، دمشق، 2007.

القواميس:

80. جمال الدين أبو الفضل ابن منظور: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط4، 2005.
81. جار الله أبو القاسم الزمخشري: **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
82. **المنجد في اللغة العربية المعاصرة**، دار المشرق، بيروت،ط2، 2001.
83. إبراهيم مصطفى و آخرون: **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2005.
84. محمد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي: دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ت)

الدوريات:

85. أمينة بلعلى: **نظرية النص عند جوليا كريستيفا**، ملتقى علم النص، الجزائر، نوفمبر1994.
86. بشير إبرير: **مفهوم النص في التراث اللساني العربي**، مجلة جامعة دمشق، م.23، ع.01، 2007.
87. بشير إبرير: **من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص**، مجلة تواصل، جامعة عنابة، ع.14، 2006.
88. خليل موسى: **النص لغة واصطلاحا**، جريدة الأسبوع الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق،ع.2000،823.
89. سعد مصلوح: **نحو أجرومية للنص الشعري- دراسة في القصيدة الجاهلية**، مجلة فصول، المجلد 10، العدد 1،2، جويلية و أوت 1991.
90. محمد شاوش: **أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية**- تأسيس نحو النص، كلية الآداب، جامعة منوبة، مج01، 2001.
91. محمد مفتاح: **التحليل السيميائي أبعاده وأدواته** دراسات سيميائية أدبية لسانية العدد الأول المغرب1987.

القواميس والمراجع الأجنبية:

92. Adam J.M **: Eléments de linguistique textuelle** – théories et pratiques de l'analyse textuelle, Mardaga, Bruxelle,1990.
93. **Dictionnaire Hachette encyclopédique**, Grand Format, Hachette Livre, Paris,2001.
94. P.Charaudeau et D.Maingueneau : **Dictionnaire d'analyse du discours**, éd. Du seuil, Paris,2002.
95. Raphael Salkie :**Text and discourse Analysis**, London and New York,1995.
96. Voir J.Dubois et autres : **Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage**, Larousse,Trésort du français,Nancy,France,1982.

فهرس الموضوعات

1. تمهيد..... ص1
2. الارهاصات التي سبقت لسانيات النص.....ص2
3. ماهية لسانيات النص.....ص3
4. ماهية النص.....ص6
   - التعريف المعجمي.....ص7
   - التعريف الاصطلاحي.....ص8
5. وظيفة لسانيات النص.....ص15
6. النص من المنظور البنيوي.....ص16
7. بين البلاغة ولسانيات النص.....ص19
8. البعد التواصلي للنص.....ص19
9. التداولية ولسانيات النص.....ص20
10. أفعال الكلام عند التداوليين.....ص22
11. من الجملة إلى النص.....ص24
12. النص والخطاب.....ص26
13. أهمية السياق في الدراسات النصية.....ص31
14. ثنائية الاتساق والانسجام.....ص32
15. النصية/ الخطاب وآليات التحليل.....ص37

أولا: مشروع دي بوجراند ودريسلر.....ص37

ثانيا: مشروع هاليداي ورقية حسن.....ص39

- ❖ الإحالة.....ص40
- ❖ الاستبدال.....ص43

- ❖ الحذف.....ص44
- ❖ الوصل.....ص46
- ❖ الاتساق المعجمي.....ص49

ثالثاً: مشروع فان دايك.....ص54

رابعاً: مشروع براون ويول.....ص55

خامساً: مشروع رفائيل سالكي.....ص61

16. التماسك النصي في التراث العربي.....ص62

- ❖ مقياس الجودة عند الجاحظ.....ص66
- ❖ حسن التخلص عند ابن طباطبا.....ص68
- ❖ حسن الرصف عند أبي هلال العسكري.....ص69
- ❖ أهمية الألفاظ عند ابن رشيق المسيلي القيرواني.....ص70
- ❖ النظم عند عبد القاهر الجرجاني.....ص70
- ❖ تماسك الفصول عند حازم القرطاجني.....ص78

17.التماسك النصي عند علماء التفسير.....ص85

18.الخلاصة.....ص91

19.ثبت المصادر والمراجع.....ص93

20.فهرس الموضوعات.....ص99.